الفصل الأول

الانحرافات المتعلقة باليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامة الذي يبعث فيه الخلق لفصل القضاء بينهم.

وسمي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة فيها وأهل النار فيها.

والآخرة هي النشأة الثانية التي لا موت بعدها.

ويشمل اليوم الآخر عند الإطلاق: الموت وما وراءه.

ويكون معنى الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به الله عزوجل في كتابه، وأخبر به رسوله ﷺ، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث والحشر والصحف والحساب والميزان والحوض والصراط والشفاعة والجنة والنار وما أعدالله لأهلهما.

والإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، فمن جحده أو شيئاً مما يشتمل عليه مسمى اليوم الآخر مما هو منصوص عليه مقطوع به فهو كافر.

وقد جاءت نصوص الوحي الكريم بإيجاب الإيمان به، وبالإخبار عنه وعن أحوال الناس فيه، وفي القرآن العظيم آيات كثيرة اهتمت بتقريره، والتنبه إليه، وتأكيد وقوعه بأساليب عديدة وبراهين كثيرة.

وقد ربط الله تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر فقال جلّ ذكره: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ . . .﴾[1].

وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿. . . وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ﴾[5].

كما أخبر الله تعالى أن من أوصاف الكفار عدم إيمانهم باليوم

---

(١) الآية ١٧٧ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٤ من سورة البقرة.

(٣) الآيات ٧ ـ ٩ من سورة آل عمران.

(٤) الآية ٢٥ من سورة آل عمران.

(٥) الآية ٨٧ من سورة النساء.

الآخر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾[2] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3].

وقد اختص الله تعالى بعلم وقت قيام الساعة وموت كل أحد من الخلق، فإن ذلك من مفاتح الغيب التي لايعلمها إلاّ الله ـ عَزَّوَجَلَّ ـ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾[5].

والآيات والسور التي تحدثت عن البعث واليوم الآخر ومابعده كثيرة

---

(١) الآية ٤ من سورة النمل.

(٢) الآيتان ٣٨، ٣٩ من سورة النساء.

(٣) الآيات ٢٨ ـ ٣٠ من سورة السجدة.

(٤) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

(٥) الآية ١٨٧ من سورة الأعراف.

جداً بحيث لاتكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن العظيم إلاّ وتجد فيها كلاماً عن اليوم الآخر، وقد جاء ذكر وتفصيل أحوال هذا اليوم أكثر من أي أمر آخر من أمور الغيب.

ومن مظاهر ذلك كثرة الأسماء الوصفية لهذا اليوم العظيم، فمن أسمائه: يوم الدين، ويوم الحساب، والساعة، والقيامة، ويوم الفتح، ويوم الحشر، ويوم التلاق، ويوم الخلود، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخروج، ويوم التناد، والطامة، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والواقعة، والآزفة، والقارعة، وغير ذلك من الأسماء.

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر تفصيلاً عدة أمور، أظهرها:

الموت، ويسمى القيامة الصغرى، وحياة البرزخ، فكل من مات قامت قيامته، والموت حتم لازم، وله أجل محدد، ووقت معلوم لايعلمه إلاّ الله وحده، وعند الموت تحضر الملائكة لقبض الروح، وللموت سكرات، يتمنى عندها المحتضر العودة للدنيا فإن كان كافراً فلعله يسلم، وإن كان عاصياً فلعله يتوب، ويفرح المؤمن بلقاء الله ويشتاق للقائه بعكس الكافر والفاجر، وإذا نزعت الروح رفعت إلى السماء، ولها أحوال بحسب إيمانها وطاعتها وكفرها، ثم تعاد الروح إلى الميت في قبره، وهو أول منازل الآخرة، وفيه ظلمة وله ضمة لاينجو منها أحد، وفيه فتنة وسؤال، وفيه عذاب ونعيم، يحصل على البدن والروح معاً.

والروح مخلوقة ليست أزلية، مبدعة من العدم، وهي التي تفارق الجسد حال الموت وتعاد إليه في القبر، وتبعث مع الجسد يوم القيامة وتنعم أو تتعذب معه في الجنة أو النار، وأرواح العباد في البرزخ متفاوتة في منازلها، فأرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تكون في خير المنازل وفي أعلى عليين ثم أرواح الشهداء، وهم عند ربهم يرزقون،

وهي في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، ثم أرواح المؤمنين الصالحين تكون طيوراً تعلق شجر الجنة، وأرواح العصاة تعذب مثل صاحب الكذبة التي تبلغ الآفاق والزناة والزواني والنائم عن الصلاة والمرابي، وكذلك أرواح الكفار تعذب وتخرج منهم كأنتن ريح.

ولاتعارض بين كون هذه الأرواح في الجنة أو النار وإعادتها إلى البدن في حياة البرزخ، فالأرواح تكون في البدن في الدنيا ويعرج بها إلى السماء وترحل في الزمان والمكان كما في حال النائم.

وعلى ذلك فحالات الروح مع البدن ست حالات:

١ ـ الحياة الدنيوية منذ الشهر الرابع في بطن أمه.

٢ ـ تقبضها الملائكة في حالة الوفاة.

٣ ـ ترفعها الملائكة إلى السماء.

٤ ـ تعاد إلى الجسد للسؤال.

٥ ـ تنعم وتعذب في الجنة أو النار، ولها تعلق بالجسد أشبه بحال النائم.

٦ ـ تعاد في الجسد عودة كاملة يوم البعث.

ففي القبر يقع العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً، فتنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن.

ومن الإيمان باليوم الآخر القطع والجزم بأن الساعة آتية وأنها

قريبة، وأنه لايعلم أحد وقتها المعين، ولها أشراط وعلامات، وهي صغرى وكبرى، والصغرى بعضها وقع مثل بعثة الرسول ﷺ ووفاته وانشقاق القمر ونار الحجاز التي تضيء وترى من بصرى الشام، وخروج الدجالين المدعين للنبوة، وإسناد الأمر إلى غير أهله، وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاة في البنيان، وتداعي الأمم على أمة الإسلام.

ومن الصغرى خروج المهدي من آل بيت الرسول ﷺ من سلالة فاطمة رضي الله عنها واسمه محمد بن عبد الله، علويٌّ حسني هاشمي، رحمة من الله بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور.

والعلامات الكبرى هي التي تكون الساعة على أثرها وهي متتابعة في وقوعها لا يكاد يفصل بينها فاصل زمني، وتشبه في تتابعها حبات العقد إذا انقطع نظامه، فتكون الملحمة مع الروم ثم فتح القسطنطينية وهي من الصغرى المصاحبة للكبرى، ثم يخرج الأعور الدجال، ثم ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام ويقتل الدجال، ثم يخرج يأجوج ومأجوج في زمن حكم عيسى بالإسلام، ويهلكهم الله في زمنه، ثم تكون الآيات الأخرى وترتيبها غير معلوم من النصوص وهي: خروج الشمس من مغربها والدابة، والدخان، وخسف بالمشرق وآخر بالمغرب وثالث في جزيرة العرب، وآخر الآيات نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

ثم يكون إفناء جميع الأحياء بنفخة الصور الأولى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام يوم الجمعة فيصعق من في السماوات والأرض إلاّ من شاء الله، وتسمى نفخة الصور الأولى وتسمى الراجفة والصيحة ويمكثون ماشاء الله من الزمان، ثم يكون بعد ذلك النفخة الثانية ويحصل بها البعث وتسمى الرادفة، فتعود الأرواح إلى الأجساد، ويقوم الناس لرب العالمين، يخرجون من الأجداث سراعاً، إلى ربهم ينسلون،

ويعيدهم الله إلى حياة جديدة أبدية لا موت فيها.

وأول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ، ويبعث الله جميع الخلق أولهم وآخرهم ويحشرهم إليه جميعاً الإنس والجن والملائكة والبهائم، ويحشر الناس حفاة عراة غرلاً إلى أرض المحشر وهي بيضاء عفراء ليس فيها معلم لأحد.

وفي يوم القيامة من الأهوال والعظائم الشيء الكثير، فالأرض تزلزل وتدك، والجبال تنسف والبحار تفجر وتسجر، والسماء تنشق وتمور، والشمس تكور ويذهب نورها، والقمر يخسف والنجوم تنكدر ويذهب ضوؤها وينفرط عقدها، ويقبض الله تعالى الأرض بيده ويطوى السموات بيمينه.

ويكون الكفار في ذلك اليوم في ذلة وهوان ويأس وحسرة، ووجوههم مسودة عليها غبرة ترهقها قترة، ينادون بالويل والثبور، ويتساءلون في فزع وخوف عمن أقامهم من رقدتهم.

وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق ذلك اليوم حتى لا يكون بينها وبينهم إلاّ مقدار ميل، وقد أخذهم العرق بحسب أعمالهم.

ويعذب الله بعض من شاء من عصاة المؤمنين كالذي لايؤدي الزكاة، والمتكبر، وأناس لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، وغير ذلك من أنواع العذاب.

وأناس من المؤمنين يظلهم الله في ظله، ولا يفزعون حين يفزع الناس ولا يحزنون، وغير ذلك من أنواع النعيم.

وتأتي أمة محمد ﷺ لها سيماء خاص من بين الأمم، يأتون غراً

محجلين من أثر السجود، ويردون على الحوض الخاص بالنبي ﷺ ويشرب منه كل مسلم متبع لهدي الرسول ﷺ ويذاد عنه أقوام من هذه الأمة غيروا وبدلوا.

وعندما يجتمع الخلق في الموقف العظيم يشتد عليهم البلاء يأتون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند ربهم ليأتي سبحانه لفصل الحساب وتخليص الناس من كربات الموقف وأهواله، فكل من أتوه يعتذر، حتى يأتوا الرسول الخاتم ﷺ فيقوم المقام المحمود، فيستأذن على ربه فيؤذن له، فيقوم بين يديه ويحمده بمحامد عظيمة يلهمه الله إياها، ثم يخر لربه ساجداً، فيأذن الله له، ويسأله ويدعوه فيستجيب الله له، فيشفع أولاً كي يأتي الحق تعالى للقضاء بين الناس، وهو المقام المحمود الذي يحمده أهل الجمع كلهم، ثم يشفع مرة أخرى في أمته.

وفي ذلك اليوم يكون الحساب والجزاء حيث يجيء الله تعالى معه الملائكة لفصل القضاء بين الخلق، ويؤتى كل عبد كتابه، فالمؤمن يأخذه باليمين ويحاسب حساباً يسيراً، والكافر يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويدعو ثبوراً، ويقتص في ذلك اليوم لجميع المظالم بين الخلق الإنس والجن والحيوان.

وفي ذلك اليوم ينصب الميزان لوزن أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي لايقدر قدره إلاّ الله تعالى، وهو دقيق لا حيف فيه ولاتطفيف، وتوزن فيه أعمال الناس وذواتهم وصحائف أعمالهم.

ويكرم الله عبده ورسوله ﷺ في ذلك الموقف العظيم بإعطائه حوضاً واسع الأرجاء، ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل ورائحته أعبق من رائحة المسك، وكيزانه كنجوم السماء، ويأتيه الماء من نهر الكوثر الذي أعطاه الله نبيه محمد ﷺ، وترد عليه أمته، ومن شرب منه لايظمأ أبداً.

ويرد عن الحوض أناس من هذه الأمة بسبب ما أحدثوه بعد النبي ﷺ من ردة عن دين الله أو بدع محدثة، أو إسراف في الفسوق والجور والظلم.

وفي ختام ذلك اليوم يحشر العباد إمّا إلى الجنة أو إلى النار، ويطلب من كل أمة أن تتبع الإله الذي كانت تعبد، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس، والذي كان يعبد القمر يتبع القمر، والذي كان يعبد الأصنام، أو فرعون وغيرها من الآلهة الباطلة تصور لهم آلهتم ثم تسير أمامهم ويتبعونها إلى أن تتساقط في النار ويتساقط من عبدها وراءها في السعير، ولايبقى بعد ذلك إلاّ المؤمنون والمنافقون الذين كانوا يعيشون مع المؤمنين في الدنيا، فيأتيهم الله جلّ شأنه، فيقول لهم: ما تنتظرون، فيقولون ننتظر ربنا، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فيخرون له سجداً إلاّ المنافقون فلايستطيعون، ثم يتبع المؤمنون ربهم، وينصب الصراط على متن جهنم ويعطى المؤمنون أنوارهم على قدر أعمالهم، ويسيرون على الصراط على قدر هذه الأعمال، ويطفأ نور المنافقين، ويقال لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً، ثم يضرب بينهم بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب.

والصراط هو: الجسر الذي ينصب على جهنم قنطرة إلى الجنة، وهو دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، ينتهي إليه المؤمنون بعد مفارقتهم الموقف إلى الظلمة التي دون الجسر، ويمرون منه على قدر أعمالهم كالبرق وكالريح وكالطير، ومنهم من يجري ومنهم من يمشي ومنهم من يزحف، والكلاليب تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج، ومكدوس في النار.

ويحشر الكفار وآلهتهم التي كانوا يعبدونها إلى النار، يحشرون كقطعان الماشية وينهرون نهراً غليظاً، ويحشرون إلى النار على وجوههم وهم مغلوبون مقهورون أذلاء خائفون وجلون نادمون، وهؤلاء يلقون في النار ولايمرون على الصراط.

وعندما يذهب بالكفرة والملحدين والمشركين إلى جهنم، يبقى في عرصات القيامة أتباع الرسل المؤمنون الموحدون، وفيهم أهل الذنوب والمعاصي وفيهم أهل النفاق، وتلقى عليهم الظلمة قبل الجسر، وفي هذا

الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويضرب بينهم بالسور ذي الباب، ولايمر على الصراط إلاّ المؤمنين دون غيرهم من الكفرة والمشركين والملحدين.

والورود على النار حق لا بد من وقوعه وهو على قسمين:

ورود الكفار إلى النار وهو الدخول.

وورود الموحدين أي مرورهم على الصراط على ماجاء وصفه سابقاً، وينتهي الكفار والمشركون والملحدون والمنافقون إلى النار التي خلقها الله مأوىً أبدياً لهؤلاء، حيث يبقون فيها أبد الآبدين، وهي مخلوقة تبقى ولاتبيد، ويقوم بأمر العذاب فيها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون، وعدتهم تسعة عشر ملكاً، ولايوجد نص صريح صحيح في تعيين مكان النار هل هي في الأرض أو في السماء.

والنار واسعة الأرجاء بعيدة القعر، ويدخلها أناس كثيرون ويضخم جسد الواحد منهم حتى يكون ضرسه في النار مثل جبل أحد، ومع ذلك يبقى فيها متسع وتقول: هل من مزيد، وهي ـ عياذاً بالله منها ـ دركات، متفاوتة في شدة حرها وعذابها والمنافقون في الدرك الأسفل منها، ولها سبعة أبواب، وعندما يرد الكفار تفتح أبوابها ثم تغلق عليهم فلايخرجون منها أبداً.

ووقودها الناس والحجارة والأصنام والآلهة الباطلة التي كانت تعبد من دون الله تعالى، وأهل النار خالدون فيها ولايخرج منها إلاّ من شاء الله إدخاله فيها من عصاة الموحدين، أمَّا الكفرة والمشركون فهم فيها خالدون، وحكم كفرة الجن كالإنس.

ودلت النصوص على كثرة من يدخل النار وقلة من يدخل الجنة، وذلك لكثرة الذين كفروا وتمردوا على أمر الله، وأكثر من يدخل النار من عصاة الموحدين النساء.

وفي النار طعام وشراب ولباس لأهلها، وهو الزقوم والحميم والغساق والقطران.

والجنة هي: الدار التي خلقها الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل دائم، يدخلها المؤمنون زمراً زمراً معززين مكرمين تستقبلهم الملائكة بالبشرى، ويشفع نبينا محمد ﷺ عند ربه في فتح باب الجنة فيشفعه الله تعالى.

وبعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار ويهذبون وينقون، ويقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الدنيا حتى يدخلون الجنة أطهاراً ليس لأحد عند الآخر مظلمة.

وأول من يدخل الجنة هو رسولنا محمد ﷺ، وأول الأمم أمته، وأول من من يدخل من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأول زمرة تدخل الجنة من هذه الأمة على صورة القمر ليلة البدر، وعددهم سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف لايدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، يدخلون الجنة بغير حساب، وقد أعطى الله رسوله لكل واحدٍ من السبعين ألفاً سبعين ألفاً يدخلون معهم، والفقراء يسبقون الأغنياء في الدخول إلى الجنة بأربعين خريفاً.

ويخرج الله عصاة الموحدين ممن شاء الله تعذيبهم في النار، ويدخلهم الجنة بعد أن يأذن بالشفاعة فيهم، ويسمون عند أهل الجنة بالجهنميين.

وأول من دخل الجنة من الناس قبل يوم القيامة هو أبو البشر آدم عليه الصلاة والسلام ودخلها الشهداء وغيرهم مما ثبتت به النصوص.

والجنة خالدة وأهلها خالدون فيها، والجنة لا مثيل لها ولا لنعيمها نظير فيما يعلمه أهل الدنيا، ولها ثمانية أبواب ودرجات بعضها أرفع من بعض وأعلى درجة في الجنة هي الوسيلة فيها مقام نبينا محمد ﷺ.

وفي الجنة أنهار وعيون وقصور وخيام ورائحة تشم من مسيرة سبعين عاماً، وليس فيها ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، بل نور يأتيهم من قبل العرش، وفيها أشجار وثمار كثيرة متنوعة، وفيها دواب وطيور وطعام وشراب وخمر وحُلَل وثياب فاخرة وفرش وخدم وأزواج وحور عين، والتسبيح والتكبير من نعيم أهل الجنة يلهمونه إلهاماً،

وأفضل مايعطونه من نعيم هو النظر إلى وجه الله تعالى.

ولايدخل الجنة إلاّ المؤمنون، ويرثون نصيب أهل النار في الجنة، والضعفاء أكثر أهل الجنة، والنساء في الجنة أكثر من الرجال.

وصح أن سيدا كهول أهل الجنة الصديق وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وسيدا شبابها الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ، وسيدات نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

وثبت دخول الجنة للعشرة المبشرين ولغيرهم من الصحابة، فهؤلاء يشهد لهم بأعيانهم ولكل من شهد له النص، أمَّا غيرهم ممن لم يشهد له النص من المؤمنين، فيشهد لهم على وجه العموم من غير تخصيص[1].

---

(١) انظر: مراجع هذه المسائل عن اليوم الآخر في:
١ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي بكامله.
٢ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٣ ٣١، جـ ٤/٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٦ ـ ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٧، ٢٨١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١٢، ٢٨١ ـ ٤٠٤، وجـ ٥/٢٤٧، ٣٦٤، ٤٤٦، ٥٢٥، وجـ ٦/٣١٧، وجـ ١٧/٢٥٣، ٣٠٩، وجـ ١٨/٣٠٧، وجـ ٢٤/٣٦٥، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٩.
٣ ـ فتح الباري ٣/٢٣٣، ٢٤٤، ٢٤٦ و ٤/٢٨١ و ٦/٣٢٥، ٣٧١، ٤٨٨ و ١١/ ٩١، ٣٦٩، ٣٧١ ـ ٣٨٤، ٣٩٩، ٤٣٧، ٤٥٢، ٤٢٢، ٤٣٨، ٤٦٦، ٤٦٨. ٤ ـ شرح العقيدة الطحاوية: ص ٢٠٣، ٤٥٠، ٤٤٤، ٤٧٦، ٤٨١.
٥ ـ لوامع الأنوار البهية ٢/١٠، ١٧، ٢٩، ٦٦، ١٦١، ١٨٦، ١٨٩.
٦ ـ الروح لابن القيم: ص ٤٩، ٥٠، ٥٢.
٧ ـ التخويف من النار لابن رجب: ص ١٨٧ ـ ١٨٨، ٨٥، ١٤٨، ٢١٤، ١١٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٢.
٨ ـ اليوم الآخر ١ ـ القيامة الصغرى جـ ٢ ـ القيامة الكبرى جـ ٣ الجنة والنار، كلها لعمر الأشقر.
٩ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين: ص ٢٦ ـ ٣١.
١٠ ـ شرح أصول الإيمان لابن عثيمين: ص ٤٠ ـ ٥٢.
١١ ـ معارج القبول لحافظ الحكمي ٢/٨٢ ـ ٢٦٥.
١٢ ـ الإيمان لمحمد نعيم ياسين: ص ٩٤ ـ ١٥٦.
١٣ ـ البداية والنهاية ١٣/١٨٧ ـ ١٩٢.

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل واعتقاد، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل واعتقاد.

هذا ما ثبتت به النصوص عن هذا الركن العظيم، فمن أنكر ذلك أو شك فيه فقد انحرف عن جادة الحق وتقحم في الجهل والضلال، وارتكس في الباطل.

هذه العقيدة القطعية الثابتة الصحيحة التي يعتقدها أهل الإسلام، نجد أن أتباع الحداثة قد كذبوها وخالفوها وأنكروها إمَّا بالكلية كما هو حال أكثرهم، وإمَّا في بعضها، والتكذيب ببعض كالتكذيب بالكل، وإمَّا بالشك والارتياب في حصولها، والشك تكذيب ومناقضة لليقين الواجب.

ونجد في منثور أقوالهم، وأصول عقائدهم «الحداثة» الجحد الصريح ونفي البعث، والسخرية بالنصوص الشرعية والعقائد اليقينية المتضمنة لإثبات اليوم الآخر وما وراءه.

وهم في هذا كله ينطلقون من أصولهم المادية الإلحادية، التي بنوا عليها أسس فكرتهم ومنطلق توجههم، ووجهة إبداعهم، فلم يتجاوزوا حدود أقوال الدهرية القدماء بل قالوا بقولهم في أبدية الدنيا والدهر، وكرروا مضامين عقائدهم، وبعضهم قال بتناسخ الأرواح، فهم ـ إذن ـ لم يتجاوزوا الأسس الإبليسية التي أضل بها من قبلهم، وإن توغلوا في ذلك ونوعوا العبارات، واستخدموا أساليب الأدب واللغة، ولغة الفن والصحافة والإعلام، وخادعوا بالادعاءات العلمية والمزاعم العقلية، وغير ذلك من الأساليب الحداثية المشهورة.

وإذا نظرنا إلى أقوال هؤلاء الجاحدين للبعث أو المشككين فيه فإننا نجدهم عدة أضرب:

الأول: الجاحدون الملحدون، فهؤلاء أنكروا وجود الخالق تعالى، وتبعوا أقوال الفلاسفة الدهريين الطبائعيين الماديين، ومن هؤلاء الشيوعيون والوجوديون.

فهم ينكرون أصلاً صدور الخلق عن خالق، منكرون للنشأة الأولى والثانية ومنكرون في البداية وجود الخالق سبحانه وتعالى.

ولايحسن مناقشة هؤلاء في أمر اليوم الآخر وما وراء البعث والمعاد والغيبيات، بل يناقشون في وجود الخالق ـ سبحانه ـ ووحدانيته أولاً، ثم يأتي إثبات المعاد بعد ذلك؛ لأن الإيمان باليوم الآخر والغيبيات فرع عن الإيمان بالله تعالى.

الثاني: الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يكذبون بالبعث والمعاد والنشور والآخرة.

وسلفهم في ذلك كفار الجاهلية الأولى الذين كانوا يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ....﴾[1]، وهم مع ذلك يقولون كما حكى الله تعالى عنهم: ﴿...أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2].

والمنطق الجاهلي نفسه يردده المنحرفون المحدثون، حيث يدعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يزعمون أن الله تعالى عاجز عن إحيائهم بعد إماتتهم وبعثهم بعد فناء أجسادهم.

وهذا القسم هو الذي ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه سبحانه لايعجزه شيء، وفي مضمون ذلك رد على سائر المكذبين والجاحدين والمنحرفين.

الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاء بها الشرائع وتحدث بها الوحي، فهم يحرفون الكلم عن مواضعه، ويؤلون الحق بتأويلات باطلة فاسدة خاطئة، ويزعمون أنهم مهتدون.

---

(١) الآية ٢٥ من سورة لقمان.

(٢) الآيتان ـ ٦٧ ـ ٦٨ من سورة النمل.

وهذا الصنف هو أخبث الأصناف وأشدها ضرراً؛ لأنهم يتلبسون بالدين، ويستخدمون آلته في محاولة هدمه وتخريبه، تحت مسميات التحرر الفكري، والمسايرة للعصر، والنظرة التنويرية للنصوص، والتجديد للفهم وتجاوز العقليات الجامدة والتفسيرات السلفية الثابتة، وتقريب الإسلام من روح العصر، وعقلنة الدين وعلمنة الشريعة، إلى آخر دعاوى الأدعياء الذين يصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[1].

وللمتأمل في أصحاب الضلالات المعاصرين وماهم فيه من تخبط وتيه، أوسع المدى في تفسير ظواهر هذا التخبط، وتحليل أسبابه، وكشف دواعية، من خلال التأمل في نصوص الوحي العظيم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ومن ذلك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ ما نحن في صدده في هذا الفصل: أن التصور والاعتقاد المبني على إنكار الآخرة والبعث يغطي على العقول، ويغلف الألباب بغلاف المادية الدنيوية القاحلة، ويجعل معتقده يمر على العظات والعبر والدلائل الكونية والتاريخية والاجتماعية مرور الأبلة المعتوه، والغافل المشدوه، وهذه الحقيقة هي المذكورة في قول الله العظم: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۖ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾[2].

لقد كان كفار مكة وغيرهم يمرون على (قرية قوم لوط وهي سدوم التي أهلكها الله بقلبها وبإمطارها بحجارة من سجيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾[3]، وقال: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ

---

(١) الآية ٤ من سورة المنافقون.

(٢) الآية ٤٠ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ١٧٣ من سورة الشعراء.

(٤) الآيتان ١٣٧ ـ ١٣٨من سورة الصافات.

مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[2])[3] وقد كانوا يرونها، وكيف لايرى الإنسان بلداً كاملاً وقد دمره الله، وهو يمر عليه ذهاباً وإياباً غدوة وعشية؟ ولكنهم لم يستنتجوا من رؤيتهم لها العبرة التي ينبغي أن تستخلص؛ لأن تصورهم وعقيدتهم المبنية على جحد الآخرة والبعث تمنعهم من الاستنتاج الصحيح وتصدهم عن العبرة الواجبة، وتقف بهم عقولهم الضعيفة الكليلة عند حدود الظاهر والرؤية الحسية البهيمية، كما أخبر الله عنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾[4].

والمثقفون في الغرب كله بشقيه ـ إلاّ قلة قليلة منهم ـ مأخوذون بهذه النظرة ومنجذبون إليهما ودائرون في فلكها، وكذلك الذين ساروا على نهجهم من تلامذتهم المستغربين من أبناء المسلمين، وإن كانوا على درجات متفاوتة في اعتناقهم لهذه الفلسفة المادية الإلحادية، ولكنهم في الجملة لايخرجون عن هذا الإطار.

ومن أكبر الأمثلة على ذلك مانجده في أدبياتهم التي يطلق عليها اسم «الحداثة» والتي تعتبر عندهم ـ وهي كذلك في الواقع ـ تعبيراً أدبياً عن العلمانية، وواجهة ثقافية لها.

وتظهر معالم هذا الانحراف في جحدهم لليوم الآخر وماوراءه، واعتبار الموت فناءً مطلقاً لا حياة بعده ولابعث ولا نشور، والقول بأبدية الدنيا إمّا على طريقة الدهريين، وإمّا باعتقاد تناسخ الأرواح، وفي تضاعيف ذلك سخرية باليوم الآخر ومايحصل فيه، وهنا أورد بعض الشواهد على هذه الأمور من كلامهم:

---

(١) الآية ٧٦ من سورة الحجر.
(٢) الآية ٧٩ من سورة الحجر.
(٣) تفسير ابن كثير ٥/١٥٣.
(٤) الآية ٧ من سورة الروم.

أولاً: في جحدهم لليوم الآخر وما وراءه، ونفي البعث، واعتبار موت الإنسان فناءً لا شيء بعده.

ويتضمن جحدهم لليوم الآخر، جحد كل الحقائق الثابتة التي تكون في الاحتضار والموت ومابعده حتى البعث والحشر والوزن والصراط والجنة والنار، وكل مايكون مع ذلك من أمور مما ثبت صحتها، وهم بذلك لايعدون عقائدهم المبنية على الضلال والفساد الإلحادي الكفري الذي هو أساس كل انحرافاتهم وقاعدة كل خرافاتهم.

فها هو زعيم الحداثة العربية النصيري علي أحمد سعيد المعروف بالاسم الوثني «أدونيس» يقرر من خلال شرحه لأقوال جبران خليل جبران أن الله تعالى والأنبياء والفضيلة ليست سوى ألفاظ رتبتها الأجيال الغابرة، وهي قائمة بقوة الاستمرار لا بقوة الحقيقية[1]، وهو بهذا الزعم يؤسس اختلاقه لينفي المعاد والبعث.

وهكذا يصادر الملاحدة الحقائق واليقينيات المؤيدة بالدليل بمجرد الدعاوى العرية من أي برهان إلاّ محض التحكم والادعاء والاستمساك بآراء أسلافهم من الكفار والمشككين، إن التمسك بالماضي الكفري الإلحادي، والتعبد له عبودية عمياء أحد سمات هذا المنهج الذي يدعي التقدم والتطور والتحديث ومقاومة التقليد، لقد اعتبروا التمسك بالتقاليد موتاً والتحرر منها مقدمة ضرورية للتحرر[2].

ولكنهم لم يتحرروا من تقليد أقدم الكفار من قوم نوح ـ عليه السلام ـ حتى كفار مكة، بل رددوا أقوالهم، وكرروا دعاواهم، ولكن بلباس عصري وبطريقة جديدة، أمَّا المضمون والمحتوى فواحد لم يتغير، ومن أراد أن يستوضح هذه الحقيقة فعليه أن يقرأ أوصاف الكافرين والمشركين والمنافقين وأقوالهم التي جاءت في القرآن العظيم، ثم يقارن بينها وبين أقوال الكافرين المعاصرين، سوف يجد أنهم من حيث الفكرة والعقيدة والمحتوى في إطار

---

(١) انظر: الثابت والمتحول ٣ ـ صدمة الحداثة: ص ١٨٧.

(٢) انظر: المصدر السابق ٣/١٨٧.

واحد وإن تغيرت العبارات وتنوعت الأشكال وتعددت الأساليب، وهذا مصداق المقولة المشهورة «الكفر ملة واحدة».

وفي مجال تقرير أدونيس لعقائده الحداثية الكفرية يطرح أوهامه الإلحادية على أساس أنها مقررات ثابتة قطعية، ومن ذلك أنه في معرض حديثه عن مايسميه التخلف العربي، وعيوب المجتمع العربي، جعل من علامات وأسباب التخلف عندهم: إيمانهم بالآخرة، وذلك في قوله: (ويبدو كأن المجتمع العربي لايتغير، بل يتراكم، كأنه مجتمع الثبات لا التغير: يؤمن بالأبدية لا بالزمان، وبالآخرة لا بالدنيا)[1].

ومع كون القضية على عكس مايدعيه هذا الباطني الحداثي فإن العرب لم يكن لهم أي شأن بين الأمم إلاّ بعد أن جاء الإسلام، ولم يتحقق لهم ماتحقق من حضارة ونصر وفتح وسيادة على الدنيا إلاّ لما آمنوا بالله تعالى وباليوم الآخر، ولم ينحدروا ويهبطوا وتتلاشى قوتهم وتذهب هيبتهم إلاّ عندما قل إيمانهم بالله وضعف يقينهم باليوم الآخر، واستسلموا للدنيا يرتعون ويتنافسون فيها كما تنافس فيها الذين أهلكهم الله من قبل فوقع بهم ما وقع.

وفي ربط بين هذه الدعاوى الإلحادية والشعر الحديث يأبى أدونيس ـ كعادته ـ إلاّ أن يجعل الزائف حقيقة والحقيقة زيفاً، والحسن قبيحاً والقبيح حسناً، ويتلاعب بعقول أتباعه، وذلك في سياق تبريره ودفاعه عن غموض الشعر الحديث، والذي هو في الحقيقة لون من ألوان الغموض الباطني كما سبق بيانه وتأكيده بالشواهد من أقوال أدونيس وغيره.

يقول أدونيس: (كان الشاعر العربي القديم يعيش في عالم واضح منظم: كل شيء فيه مفسر، محدد، بدءاً من كيفية غسل اليدين والقدمين وانتهاءاً بما سيحدث للإنسان في الآخرة، وكان هذا العالم يقوم على حقائق مطلقة نهائية وعلى إيمان راسخ بها، كانت بنيته عقلية ـ ذهنية، لا نفسية ـ انفعالية، بل كان العالم النفسي الحميم، مكبوتاً مقموعاً، لهذا كان الشاعر

---

(١) زمن الشعر: ص ٦٧.

يصدر عن أفكار ومعان جاهزة، كان بتعبير آخر: ينقل معاني موجودة قبله: يفسرها وينوع عليها. . .)[1].

وهكذا يقرر أدونيس باطنيته المضادة للوضوح والعقل والنظام بأسلوب ماكر ملتوٍ، في خليط من الحداثة الدهرية والباطنية الإلحادية.

وما يعيبه أدونيس من وضوح ويقين وتحديد هو ما يكرره الحداثيون الصغار من الأتباع المحاكين لأدونيس وأساتذته، ومرادهم بكل ذلك نقد الإسلام القائم على هذه الحقائق الجلية والمعاني اليقينية الثابتة، وهو ما صرح به أدونيس في هذا النص وفي غيره، وهو ما يحوم حوله الحداثيون الذين لايستطيعون التصريح بمثلما صرح به أدونيس، فيغمغمون ويلوحون!!.

أمَّا نقد أدونيس للوضوح والحقائق المطلقة والأفكار الجاهزة، والتي يعنى بها الإسلام وقضاياه التي ضرب لها مثالاً بغسل اليدين والقدمين إشارة إلى الوضوء وبالإيمان بما سيحدث في الآخرة، هذا النقد الهادم الذي يصبه وسواساً في قلوب أذياله المنبهرين ليس تهمه أو إدانة يجب دفعها عن الإسلام، إذ الإسلام حقائق ثابتة ويقينيات قاطعة وثوابت صحيحة.

أمَّا الحداثة والإلحاد والعلمنة التي يسعى أدونيس وأضرابه في سبيلها المظلم فليست سوى أفكار جاهزة آتية من صقيع الوثنية الغربية، التقطتها العقول الاسفنجية، فنضحت منها روائح العفن المادي الذي تشربته.

وقوله بأن الشاعر القديم: (يصدر عن أفكار ومعان جاهزة، . . . ينقل معاني موجودة قبله يفسرها، وينوع عليها)[2]. هذا القول ينطبق على الحداثيين بصورة واضحة جلية، فإن الناظر في كتبهم ونتاجهم ومذاهبهم وأفكارهم، يجد أنهم ـ في أحسن أحوالهم ـ ليسوا أكثر من نقلة ومترجمين عن الأفكار والمذاهب الغربية، بل وهم لاينكرون هذه الحقيقة بل يفتخرون بها.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٧.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٧٧.

وهنا يصدق على أدونيس والحداثيين قول العرب: (رمتني بدائها وانسلت)[1].

والمقصود أن الرؤية الحداثية تقوم على جحد الدين والفضيلة والدفاع عن الإلحاد والرذيلة، وتتبنى جهالاتها، ومن العجيب أنهم يجعلون ذلك نظرة عقلية ونزعة إنسانية طبيعية ومقولة علمية، تقوم على تقليد الإلحاد الغربي، كما وصف محمد جمال باروت في قوله: (تصبح الحداثة في هذا السياق وبما هي «نظرة إلى الوجود» أو «عقلية» حسب تعابير الخال، «ابيستمياً» أو نظاماً معرفياً يجد مرجعه في «النزعة الإنسانية الطبيعية» أو «العلمية» على حد تعبير هنترميد، ويوجز «لامونت» هذه النزعة: «بأن الإنسان لايحيا إلاّ حياة واحدة... ولايحتاج إلى ضمان أو دعامة من مصادر عالية على الطبيعية، وأن العالي على الطبيعية الذي يتصور عادة في شكل آلهة سماوية أو جنات مقيمة، ليس موجوداً على أية حال، ففلسفة النزعة الإنسانية تسعى على الدوام إلى تفكير الناس بأن مقرهم الوحيد هو هذه الحياة الدنيا، فلا جدوى من بحثنا في غيرها عن السعادة وتحقيق الذات، إذ ليس ثمة مكان غيرها نقصده، ولابد لنا نحن البشر من أن نجد مصيرنا وأرضنا الموعودة في عالمنا هذا الذي نعيش فيه، وإلاّ فلن نجدهما على الإطلاق»[2].

بهذا المعنى فإن «المجتمع الحديث» الذي يعنيه الخال هو المجتمع الذي يقوم على «النظرة الإنسانية الطبيعية» التي تؤدي إلى مجتمع قائم على نظرة حديثة للحياة على العلم والتكنولوجيا»[3] على حد تعبير الخال... ويعبر الخال عن هذه الإشكالية بقوله: «وإذا فقد الإنسان سنداً له في نظام

---

(١) مجمع الأمثال ٢/٢٣.

(٢) نقل باروت هذا النص من كتاب الفلسفة أنواعها ومشكلاتها لفؤاد زكريا، الطبعة الثانية: ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٣) نقل باروت هذا النص من مقال ليوسف الخال بعنوان «نحو أدب عربي حديث» في مجلة أدب، المجلد الثاني، العدد الأول شتاء ١٩٦٣م: ص ٨.

«إلهي» أبدي، يرئسه[1] إله عادل رحيم يحميه ويكافئه هنا أو في السموات، وجد نفسه أمام نظام من صنع يديه لا استئناف لأحكامه إلى سلطة عليا»[2].

وبذلك يصبح الإنسان مصدر القيم لا الآلهة على حد تعبير أدونيس، من هنا يخوض الإنسان «صراعاً روحياً مع الفراغ»[3] إذ يؤدي «المجتمع الحديث»[4] إلى «التبعثر والتمرد والرفض والحيرة والقلق وما إلى ذلك مما يطبع عصرنا الحاضر»[5].

ومن هنا يحل الشعر مكان الدين، ويصبح «ميتافيزيقيا» المجتمع الحديث، حيث يلعب الشاعر «دور الآلهة التي اختفت» على حد تعبير خالدة سعيد «يزيح كابوس الآلهة والنظام»[6])[7].

هذا النص الحداثي يجسد بوضوح الصورة الحقيقية للمعتقد الحداثي القائم على أمشاج من الإلحاد والدهرية والكفر والزندقة وتأليه الإنسان والطبيعة، ويحتوي على شهادة دامغة ضد الذين يشهدون بالباطل ويدافعون عن الحداثة وأصحابها، ويجادلون عن الذين يختانون أنفسهم.

وليست هذه عقائد الخال وأدونيس وخالدة سعيد وباروت فحسب، بل يشترك معهم في هذا المستنقع الإلحادي جملة كبيرة من شعراء ونقاد وكتاب الحداثة العربية، ومن لم يشاركهم في هذه الصراحة الكفرية لا يكاد يسلم من رذاذ مضمون هذا الاعتقاد الإلحادي، بالجحد والإنكار أو بالشك والريب.

---

(١) هكذا والصواب: يرأسه.

(٢) نقله عن المصدر السابق: ص ٩.

(٣) (٤) (٥) كل هذه الأقوال ليوسف الخال نقلها باروت عن المصدر السابق ذكره: ص ٩.

(٦) نقل باروت هذا النص عن خالدة سعيد من البحث عن الجذور، إصدار دار مجلة شعر ـ بيروت ١٩٦٠ م/ ١٣٧٩ هـ: ص ٩.

(٧) قضايا وشهادات ٢ صيف ١٩٩٠ م/ ١٤١٠ هـ: ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ من مقال طويل لمحمد جمال باروت بعنوان «تجربة الحداثة ومفهومها في مجلة شعر».

إن «العلمانية» في حقيقة معناها تعني «الدنيوية» أو «اللادينية» وجوهرها تأليه الإنسان والدنيا وجحد حق الله تعالى في الحكم والطاعة، وهذا المعنى هو جوهر ما عناه باروت في النص السابق، وإن كان أولئك صرحوا بدهريتهم وإلحادهم وبعض العلمانيين لمحوا ولم يصرحوا.

إن الطبيعة المادية للفكر الحداثي والعلماني يقتضي حقيقة أن يكون أتباعه على هذه الدرجة من الخرافة والجاهلية، مع تفاخر بالانحدار والتردي وسخرية بالحق وأهله، وهم في ذلك على نهج أسلافهم من الكفار الأوائل كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم في قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾﴾[1].

وهؤلاء وهؤلاء يصدق عليهم قول الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[2].

وعلى كل حال فليست الحداثة بمدارسها العديدة ولافتاتها المتنوعة إلاّ صورة من صور الكفر القديم في ثوب جديد وبعبارات حديثة، والأغرب والأعجب في شأنها أنها وهي في أسفل دركات التخلف والجهل والضلال يسميها أصحابها «نزعة إنسانية» و«نظرة علمية عقلية» و«نظاماً معرفياً» إلى آخر هذه الألقاب الجوفاء المفخمة، التي إن دلت على شيء فإنّما تدل على إفلاس أصحابها من الحقائق والبراهين، وانتفاخهم بأورام الدعاوى الكاذبة.

---

(١) الآيات ٧٣ ـ ٧٥ من سورة مريم.

(٢) الآيتان ٧ ـ ٨ من سورة يونس.

وهم في محاولاتهم البائسة في هدم دين الله والنيل منه والتهكم به والسخرية منه، كما قال الشاعر:

(وقال السهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهةً وفاخرت الشهب الحصى والجنادل)[1]

وشواهد سفاهتهم الاعتقادية في جحد الآخرة واعتقاد عبثية الحياة كثيرة، منها قول محمود المسعدي صاحب رواية «حدث أبو هريرة قال» والتي يعدونها من روائع الحداثة، ففي حديثه عن العلوم والأبدية والحياة الآخرة يقول: (ما حيلة العلوم كل العلوم؟ يمكنها زعزعة ركائز الكون العملاقة وتحديد نظمها، ولكن متى صار تحديد كل هذه القواعد الكونية التي نلم بها، نعود للسؤال الأول: ما مصدرها؟ ومن سنها؟ يمكننا تفكيك أوصالها كما يفكك الطفل لعبته، ويعجز عن شرح كيفية عملها لنطلق في بحثنا من البداية، هل يعي الفكر البشري مفهوم «الأبدية»؟ أي اللابداية واللانهاية واللامحدود، فوعينا الحسي يفترض بداية ونهاية لكل شيء فقد نسلم بالديمومة لكن ليس باللانهاية غير المبررة، فتبلغ الماورائي أي مايتجاوز إدراكنا المادي، من هنا الحاجة لتفسير واضح، كالتفسير الديني الذي يوفر للإنسان تفهماً إيمانياً وليس عقلانياً لما يعرف «بالباقية» مابعد الحياة)[2].

هذا النص محشو باللغو الفارغ، والتأرجح في أوله بين الشك والجحود، والواصل في الأخير إلى حضيض إنكار اليوم الآخر والحياة الأخروية، ومن يعرف عقائد المسلمين، يستيقن أن هذا القول لايمكن أن يصدر من قلب فيه إيمان بالله واليوم الآخر، فاعتبار العلوم الركيزة الأساسية لتفسير كل شيء وهدم كل شيء، نوع من أنواع التأليه للحياة الدنيا، وشعبة من شعب المذهب الطبائعي القديم، واعتبار أن حقائق الدين عن اليوم الآخر

---

(١) بيتان من قصيدة لأبي العلاء المعري في سقط الزند: ص ١٩٥.

(٢) رأيهم في الإسلام: ص ١٦٢.

تعطي تفسيراً إيمانياً لا عقلياً مثال من أمثلة الدعاوى والشتائم الحداثية العلمانية العربية العرية من الدليل والبرهان، والمفتقرة إلى الحجة، والعقل بل والمناقضة لكل ذلك، إذ في أدلة العقل والحس والشرع من إثبات المعاد مالايستطيع معه الشاك المعاند رداً.

أمَّا التهمة المادية الإلحادية التي يرددها الدهريون الجدد في أن الدين مناقض للعقل، فهي تهمة طالما رددوها، وحجروا عقولهم وقلوبهم عن النظر في نقيضها، وأغلقوا على أنفسهم منافذ النظر أو التأمل في البراهين المعاكسة لما يعتقدون، في الوقت الذي يزعمون فيه الانفتاح وسماع الرأي والرأي الآخر!!، ولكنهم في واقع الأمر أشد الناس تحجراً على المقولات المادية التي اعتنقوها، وأكثر البشر انغلاقاً في الأطر المادية التي أحاطوا أنفسهم بها، إلى حد أنهم إذا رأوا الدليل الساطع والبرهان القاطع الذي ينقض عليهم أوهام مادياتهم صدوا عنه وأعرضوا، وتجاوزه بإغفاله أو السخرية به، ولو كانوا أصحاب «عقلانية» كما يدعون، لسمعوا نداء العقل والتفتوا إلى الدليل، وانتبهوا للبرهان، ولكنهم في غيهم يعمهون، وعلى آثار أسلافهم من الدهريين يسيرون.

أمَّا الحداثي المحترق جابر عصفور فإنه يتحدث عن الموقف المضاد للحداثة في كتاب الأخ الشيخ عوض القرني ومقدمته التي كتبها سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ويصف ذلك بأنه خطاب إرهابي قمعي تسلطي ينبني على (الثقافة التي يغلب عليها الاتباع والتقليد، وبنية المجتمع يغلب عليه الخوف والإذعان، وذلك في متوالية تؤجج عمليات التناص الديني السياسي الاجتماعي في لا وعي المتلقي، حيث تتجاوب المخزونات اللاشعورية الملازمة لسلطة الدولة الإرهابية وأجهزتها القمعية وعنفها اللاإنساني، والمخزونات المصاحبة للقيم الدينية، حيث الخوف من عذاب القبر والرعب من نار الآخرة...)[1].

(١) الإسلام والحداثة: ص ٢٠٤.

وإذا تأملنا الخطاب الحداثي العلماني، والممارسات السلطوية العلمانية وجدناها تقوم على أبشع أنواع القمع والتسلط والإرهاب، وما احتكار الصحف العلمانية والمنابر الإعلامية الحداثية واحتجارها الكتابة والتعليق والتعقيبات على من لايوافق معتقداتهم إلاّ أحد الأدلة الكثيرة على التعصب العلماني.

أمَّا ممارسات القمع والتسلط والإرهاب الذي تقوم به الدول العلمانية ضد دعاة الإسلام وعلمائه فهي أشهر من أن تذكر، ونراها اليوم تتصاعد بشدة وعنف لم يسبق له مثيل، وتتزايد أدوات القمع تزايداً يذكرنا ـ نحن معشر المسلمين ـ بمحاكم التفتيش، يضارع ذلك ويقويه الكتابات والندوات المؤيدة لهذا القمع، والمعاضدة لهذه الممارسات القبيحة، التي تسعى لاجتثاث الإسلام وأهله، في حملات أبشع وأشنع من الحملات الصليبية، ومع ذلك فإنهم يدعون الحرية والحوار والديموقراطية والتسامح!! وشاهدهم في كل ذلك ما في الزنازين والمعتقلات العلمانية وما في الكتب والمجلات الحداثية!!.

أمَّا حديثه عن الآخرة وعذاب القبر وجعلها أساساً للتسلط الإرهابي والتخلف العقلي وتسميتها مخزونات مصاحبة للقيم الدينية، فهو دليل على عمق الانحراف الاعتقادي عند قائل هذا القول، والذي لايتورع أن يقول بأن وصف الحداثة والحداثيين بالكفر تقوم على تخييل إرهابي[1].

فماذا يريد هؤلاء؟ يجحدون وجود الله تعالى، أو يجحدون ألوهيته، أو حقه في العبادة والطاعة ومنها الحكم بما أنزل الله، أو يشككون في المعاد والغيبيات ويجعلون الإيمان بها تخلفاً ومخزوناً للخوف والإرهاب، ثم يريدون بعد ذلك أن لايوصفوا بما يستحقون!!.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾

(١) انظر: المصدر السابق: ص ٢٠٤.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

إن عقولهم المظلمة تظل دائماً في حالة من الجهالة المتراكمة، التي لاتتوقف حتى تنضح بهذه الأقوال المستندة على مجرد جحد والريب والدعوى، في دائرة إلحادية أحاطوا أنفسهم وانطلقوا من خلالها مجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق، ومنافحين عن الجهل ليدافعوا به الدليل.

إن هذه الرثاثة الحداثية داء استولى على أذهان هؤلاء وتسلط على عقولهم، فنتج منها ما نتج من ضحالة ورجعية وتخلف جاهلي، إنه نمط امتدادي للكفر القديم والجاهلية السحيقة.

يعبر أحدهم عن سخطه على التعليم والتأليف في بلاد المسلمين الذي قام في مجمله على الإيمان بالله واليوم الآخر، فيقول:

(خدعتنا مقاعدنا المدرسية

لم تعد النار ناراً وتلك الجنان جناناً

سوى في الكتب...). ثم يقول:

(سأدخل مع روحي الآن حربْ

وألقى بها في مهب الذنوب

المعدة للصالحين هناك...

سأحيا ذنوبي هنا كلها)[2].

أمَّا أدونيس فإنه إضافة إلى تنظيراته الإلحادية السابقة أضاف جحده الصريح لليوم الآخر، كل ذلك في إبداعاته الحداثية الرثة المسماة شعراً!!

---

(١) الآيات ٢١ ـ ٢٤ من سورة الأنعام.

(٢) مجلة الناقد، العدد ٨ فبراير ١٩٨٩ م/١٤٠٩ هـ: ص ٣٥ من مقطوعة بعنوان قصيدتان للحداثي الفلسطيني إبراهيم نصر الله.

والذي أضحى بسببها عند الإمعات نموذجاً عالياً للمضاهاة والتقليد، يقول أدونيس في حوار بين الجندي والأصوات والصدى:

(الجندي: (متمتماً) ما المصير؟

صوت: عميقاً مديداً يبدو كأنه صدى)

شلل طِرْح يطير

الجندي (وهو يضرب الحصى بقدمه اليمني)

ما الإله؟

الصوت والصدى معاً: كل ما كان سواه

الجندي: (متطلعاً إلى فوق)

ما المغيب

الصوت والصدى معاً: حاضر بالظن، بالخوف يُطّيب)[1].

وفي موضع آخر يقول معبراً عن عقيدته في جحد اليوم الآخر:

(والساعة التي يقال أنها آتية توقفت)[2].

وأصرح من هذا قوله:

(اهتف لا جنة لاسقوط بعدي

وأمحو لغة الخطيئة)[3].

أمَّا البياتي فإنه يعبر عن الموت بالليل الأبدي الذي يعني الفناء المطلق حسب عقائده الماركسية، فيقول:

(لن أهزم حتى آخر بيت أكتبه، فلنشرب في قبة هذا الليل

---

(١) الأعمال الشعرية لأدونيس ١/ ١٨٧.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٨٩.

الزرقاء

حتى يدركنا الليل الأبدي ونغفو في بطن الغبراء)[1].

ويشرح في كتابه «تجربتي الشعرية» قضية البعث في الأدب العراقي القديم، ويقصد به ـ حسب قوله ـ: «تموز إله الخضرة» ثم يتحدث عن عقائد قدماء المصريين، ويستطرد في وثنيات جاهلية مستمداً منها الرموز الإحيائية والحداثية[2]، بعيداً عن أي إشارة للبعث في المفهوم الحق.

وهو اتجاه يجب الانتباه له، وعدم الاغترار بلفظ «البعث» الذي يطلقونه، فإنهم لايريدون به سوى هذه المعاني الوثنية الكفرية.

أمَّا نازك الملائكة فإنها تعبر عن شكها في البعث بتقريرها أنه ليس هناك إلاّ الفناء وأنه لا حياة خالدة بعد الموت، وذلك في قولها:

(قالوا الخلود:

ووجدته ظلاً تمطى في برود

فوق المدافن حيث تنكمش الحياة

ووجدته لفظاً على بعض الشفاه

غنته وهي تنوح ماضيها وتنزله اللحود

غنته وهي تموت... يا للإزدراء!

قالوا الخلود، ولم أجد إلاّ الفناء)[3].

أمَّا صلاح عبدالصبور فإنه يعبر عن عقيدته في هذه القضية العظيمة بقوله:

(وقيل لكم:

---

(١) ديوان البياتي ٢/ ٤١٥.

(٢) تجربتي الشعرية: ص ٥٤ ـ ٥٦.

(٣) ديوان نازك الملائكة ٢/ ٨٧.

بأن حياتكم جسر، وأن بقاءكم مسطور

خطى تخطى بميقات إلى دار ببابين

نطوف بها كومض شعاعة العين

وأن العاقل المبرور من يحيا بلا زاد

يجمع زاد راحلته

لأن وراء هذه الدار فيما قد رواه الناس

شطوطاً طاميات موجها ديجور

ولولا سيف نور شق ظلماها

وملاح على مركب

يقول لمن أحث الخطو في دهليزها

أركب!

ولولا ومض مصباح يلوح لمقلة الملاح

لضل الركب في التيه سنين مئين

أقول لكم بأن الزيف قد يقتات بالفطنة، وسقط القول قد يعلو بأجنحة من الترديد)[1].

فهو يناقش قضية المعاد والبعث بنفس الشاك المرتاب، وذلك حين يطرحها أول مرة على أساس أنها مجرد قول «قيل لكم» وأن حقيقة الدار الآخرة ليس سوى قولِ «قد رواه الناس»، ثم ينتقل بعد هذا الشك الجاحد إلى إنكار صريح حين يطرح رأيه على أساس أن قضية البعث محض زيف ومجرد قول ساقط ارتفع بسبب ترديد الناس له من قديم.

وهكذا يوجز صلاح عقيدته النافية للبعث في هذا القول العظيم

---

(١) ديوان صلاح عبدالصبور: ص ١٦٧ ـ ١٦٨ وله قول مرتاب في البعث في ص ٦١.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[1].

وغير بعيد عن هذه المعاني الجاحدة ما كتبه سعدي يوسف في مطلع مقطع بعنوان «منزل المسرات» جاعلاً القول في وسط مستطيل يدل على احتفائه وغايته الشديدة به، وهو قول نقله عن ملحمة جلجامش المبنية على أسطورة آشورية بابلية[2]، كتب سعدي:

(آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً

وأنا سأضطجع مثله

فلا أقوم أبد الآبدين)[3].

ولا غرو أن من اتخذ الوثنية ورموزها وملاحمها دليلاً فسوف تقوده إلى جثث العقائد الجاهلية، وفي هذا القول مصداق ما سبق ذكره من أن القوم ليسوا إلاّ نسخة معاصرة من الجاهليات الأولى البائدة، ومن أعظم القضايا التي واجهت الإسلام من أول عهده وحتى اليوم قضية الألوهية والنبوة والمعاد، وها نحن نرى كيف يجتر الحداثيون المقولات المنحطة لأسلافهم من الكفار الملحدين في نفي البعث، والقول بالعدم المطلق والفناء الدائم الذي لا حياة بعده، من نحو قول أمل دنقل:

(لا شيء إلا توابيب لا شيء

إلا المبادلة الخائبة

جثث تتراكم في الضفة الساكنة...

هذا التساؤل عن لون عينين عاشقتين

كنافذتين على البحر ـ طعم القبل

---

(١) الآية ٥ من سورة الكهف.

(٢) انظر: عن جلجاش وملحمة جلجاش في معجم الأساطير: ص ١٠٦.

(٣) ديوان سعدي يوسف: ص ١١٢.

تتلقى النفايات تلو النفايات دون كلل)[1].

أمّا نزار قباني الممتليء ببغض الشرق والعرب والمتخم بأنواع الضلالات؛ فإنه يجعل من التخلف الإيمان بما شرع الله وبما أخبر به عن يوم القيامة، يقول:

(في ليالي الشرق لما
يبلغ البدر تمامهْ
يتعرى الشرق من كل كرامةْ
ونضال
فالملايين التي تركض من غير نعال
والتي تؤمن في أربع زوجات
وفي يوم القيامةْ...)[2].

إلى أن قال في نهاية المقطع:

(شرقنا المجتر تاريخاً
وأحلاماً كسوله
وخرافات خوالي)[3].

ويُمكن أن يقال لهذا اللاهث خلف زبالات أفكار وأخلاق البشر، إن لهاثه المستمر إثر الشهوات الحيوانية والعقائد المادية الجاهلية هي التي جعلت منه شخصاً يؤمن في مئات العشيقات والخدينات من العاهرات والسافرات، ويُمارس معهن أبشع الجرائم الخلقية، مفتخراً بذلك معتزاً بحقاراته، وامتهاناته العديدة للمرأة، مقتنصاً أي لذة هابطة؛ لأنه يعتقد أن هذه الحياة الدنيا هي نهاية المطاف، وغاية الوجود، على مقتضى الخرافات

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأمل دنقل: ص ٣٨٠ ـ ٣٨١.
(٢)(٣) الأعمال الشعرية لنزار قباني ١/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨.

الجاهلية التي قالها أسلافه، ويقولها أساتذته المعاصرون.

﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾[1].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

ومنهم الماركسي الأحمر سميح القاسم الذي يفاخر بكفره قائلاً:

(أنا ما صليت وما صمت وما رهبت نفسي لدى الحشر عقابا
والدم المسفوك من قافيتي لم يراود من يدي عدن ثوابا)[3]

ومنهم ممدوح عدوان القائل:

(ناديت: اجعلي لي أية وسط حياتي
أنا لا أؤمن بالبعث
اسكبي لي فزعاً يكفي لهذا الصبح)[4].

أمَّا الملحد علاء حامد فإن أقوالهم المتهافتة الجاحدة للبعث والآخرة والجنة والنار وكل قضايا الآخرة كثيرة عديدة، منها قوله تبعاً لأقوال الماركسيين: (فكرة الجنة والنار التي سيطرت فيما مضى انحسرت الآن وليس فيها ما يهز الوجدان العصري)[5]، وتقريره بأن الجنة والبعث مجرد وهم[6]، وتكذيبه الصريح بوجود الجنة والنار، وانتفاخه المادي بدعوى أنه لا يوجد مجتمع أنهار؛ لأنه لايؤمن بالبعث والحساب[7]، وجحده عذاب

---

(١) الآية ١٨ من سورة الشورى.
(٢) الآيتان ٣٤ ـ ٣٥ من سورة الدخان.
(٣) ديوان سميح القاسم: ص ٦٩.
(٤) الأعمال الشعرية لممدوح عدوان جـ ٢ للخوف كل الزمان: ص ٩٢ ـ ٩٣.
(٥) مسافة في عقل رجل: ص ٦ ـ ٧.
(٦) انظر: المصدر السابق: ص ٣١.
(٧) انظر: المصدر السابق: ص ١١٢ ـ ١١٣.

القبر[1]، وزعمه أن النار مجرد وهم وتفكير بدائي للتخويف[2]، إضافة إلى جحده الصريح مع تهكم وسخرية بحقائق النفخ في الصور ومجيء الله تعالى، والميزان والصراط لأنها ـ حسب قوله ـ لاتخضع لميكرسكوب العقل[3]؛ ولأن الجنة والنار لا دليل عليها، والادعاء بأن البعث عنده مجرد تنبؤ[4]، وزعمه أن قانون الثواب والعقاب صنعه الإنسان والكهان الذين غرسوا فكرة العقاب الأخروي، وبناء على ذلك يرفض وجود الجنة والنار ويعتبرهما خرافة[5]، بل ويعتبر أن الإيمان بهما سبب لتخلف المجتمعات وليس سبباً لنهضتها[6]، إلى آخر سخافاته العديدة التي ملأ بها روايته الإلحادية.

وما أصدق القائل: (ولايعجز من لا حياء له عن أن يقلب كل كلام إلى ما اشتهى بلا برهان وصرف الكلام عن موضعه ومعناه إلى معنى آخر لايجوز...)[7].

وهؤلاء المخاذيل لم يكن لهم في كفرهم وجحدهم إلاّ محض الجحد والتشكيك وهي أوهى من خيوط بيت العنكبوت.

ثانياً: قولهم بأبدية الدنيا أو بعض مافيها:

وهذا القول منهم مبني على جحدهم وجود الله تعالى وربوبيته وخلقه للخلق بعد أن لم يكن هناك مخلوق. وهو عين قول الدهرية الأقدمين[8]

---

(١) انظر: المصدر السابق: ص ١٢٢ ـ ١٢٣.
(٢) انظر: المصدر السابق: ص ١٢٣.
(٣) انظر: المصدر السابق: ص ١٢٤.
(٤) انظر: المصدر السابق: ص ١٣٤.
(٥) انظر: المصدر السابق: ص ٢٠٥.
(٦) انظر: المصدر السابق: ص ٢٠٩.
(٧) هذا القول لأبي محمد بن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/٢٠٨.
(٨) انظر: مذهبهم والرد عليهم في الفصل لابن حزم ١/٩ ـ ٢٣.

الذين لخص القرآن العظيم مذهبهم في آية منه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[1].

ولما ركن أتباع المادية المعاصرة إلى الإلحاد، واستسلموا لتقاليده، قادهم ذلك إلى جحد كل قضايا الغيب.

ومن هنا كانت مسألة الإيقان بوجود الله تعالى وألوهيته أصل كل المسائل والقضايا الأخرى، كما أن الشك في وجوده أو جحدان وجوده ـ جلَّ وعلا ـ أساس كل انحراف في الاعتقاد والعمل والأخلاق.

وفي هذا الزمان الذي شاع فيه الإلحاد بصورة مقننة ترتدي ـ زوراً ـ أردية العلم والعقل والتجريب، استسلم ضعفاء العقول والمواهب من المنحرفين من أبناء المسلمين للأفكار المادية ولوازمها الآتية من الغرب، واستولت عليهم وسيطرت على أذهانهم، من صغار المتطفلين منهم إلى كبار المقلدين.

بيد أن القضية في كل نواحيها يُمكن أن تقاس بالعقل والبرهان والدليل التي طالما تشدقوا بها مدعين وخالفوها عامدين، إذ لاشك في احتفاظ البراهين والأدلة العقلية المنطقية المستجمعة لشرائط الصحة دائماً بقوتها وقطعيتها، بدرجة ترجح على قوة الأدلة المادية التجريبية المحسوسة المبنية على التجارب والاكتشافات، ولاشك أيضاً في أن الأدلة المادية التجريبية القطعية الثابتة لايُمكن أن تعارض الأدلة العقلية الصحيحة ولا الأدلة النقلية الصريحة.

وصفوة القول بأن الأدلة العقلية الصحيحة والأدلة التجريبية الثابتة والأدلة النقلية الصريحة تفيد الضرورة في دلالتها على وجود الله تعالى وألوهيته والنبوة والمعاد، وهذه الأدلة بهذه الأوصاف لايُمكن أن تتعارض إلاّ في عقل نقص حظه من إدراكها على وجهها بشرائطها الصحيحة، ولاتنقص قيمة الدليل العقلي أو التجريبي أو النقلي بسبب ضعف بعض الأذهان عن فهم دلالاتها القطعية، بل تزيد قيمتها، كما أن الجوهر

---

(١) الآية ٢٤ من سورة الجاثية.

والألماس والذهب لايقدرها قدرها إلاّ الجوهري الحاذق، ولايحط من قدرها أن لايستطيع كل أحد تمييز صحيحها من زيفها.

وإذا نظرنا إلى تخبطات أصحاب المذاهب الفلسفية الغربية في فلسفاتهم ذاتها، وفي مقولاتهم وتطبيقاتها، وجدنا أن العداء للأديان والجحد لوجود الله أو ألوهيته أو غيبة، من النتائج الحتمية للمغالطات الذهنية، المخالفات العقلية، والتخبطات المعرفية.

أمّا أتباعهم من المفتتنين بهم من أبناء العالم الإسلامي من مثقفي هذا العصر، فهم في درجة من التقليد لأولئك بحيث لاتستطيع معها وصفهم إلاّ بأنهم مجرد قطيع من المحاكين المتأثرين المقلدين، سواء منهم من أعلن الإلحاد بتبجح أهوج، أو من استبطن الإلحاد ودار في دوائر الشك والريب والتردد.

وهذا الصنف الجاهلي المقلد أسواء من سابقه وأردى؛ ذلك أن عقولهم قد جمدت على الضلال اتباعاً، وسارت في مسارات الجهل والزيغ انصياعاً، فأذهانهم أشد تحجراً من أذهان أساتذتهم وقلوبهم أقسى وأعتى.

ومع ذلك تسمع منهم التبجح بالاستقلال العقلي والتحرر الذهني:

كدعواك كل يدعي صحة العقل ومن الذي يدري بما فيه من جهل[1]

وعقيدتهم في البعث والنشور من أعظم الأدلة على هوان الحقيقة عندهم، وضعف سلطان البراهين لديهم، وتسلط آفات الجهل والهوى والضلال على ألبابهم وقلوبهم، فهم حين يقولون بأبدية الدنيا أو بعض ما فيها لايستندون إلى مستند صحيح من عقل أو تجريب، إلاّ محض الادعاء ومجرد النفي والاستبعاد، وافتراض الاستحالة، والاستناد إلى الإلف والمشاهدة الحيوانية القاصرة، وهذه كلها ومايشبهها ليست من محجة الأدلة العقلية الثابتة، ولا من طرائق المطالب البرهانية الصحيحة.

---

(١) ديوان المتنبي: ص ٥١٨.

والاستدلال بمجرد النفي والاستبعاد والاستحالة ونحو ذلك، إن دل على شيء فإنّما يدل على ضعف حجة صاحبها وزيف اعتراضاته.

فإذا انضاف إلى ذلك اعتقاد بعضهم أن الأبدية للإنسان تكون عن طريق تناسخ الأرواح، تبين حينئذٍ مقدار ما وصلوا إليه من خرافة وجهل وضلال.

وبهذه الاعتقادات الجاهلية يتجلى لكل صاحب بصيرة أن القوم قد تركوا العروة الوثقى والحقيقة العظمى، واستندوا إلى ما ليس بمستند، وعكسوا الأمور أبشع عكس وأشنعه، وجعلوا الحقائق أباطيل والأكاذيب حقائق، وبهذا الاختيار المعكوس تأثرت عقولهم وأعمالهم، وهو أحد أسباب انصرافهم عن الالتزام بالمطالب اليقينية الضرورية مثل وجود الله تعالى والنبوات والمعاد.

وتعبيراتهم عن عقيدتهم بأبدية الدنيا أو بعض ما فيها أو القول بتناسخ الأرواح، تعبيرات كثيرة كلها تدل على أنهم على ملة غير ملة الإسلام، ومن ذلك قول إحسان عباس في شرحه لنظرية الزمن عند أصحاب الشعر العربي المعاصر، وذلك في سياق مقارنة بين المفهوم الإسلامي للزمان والمفهوم الحداثي، مما يدل بجلاء على أن هذا الناقد الحداثي ـ غير المتهم في ولائه للحداثة ـ يفرق بين الاتجاهين في قضايا كثيرة منها قضية الزمان هذه، حيث قال: (. . . يُمكن القول أن الحضارة الإسلامية ـ حسب تصوري ـ كانت ترى الزمن دورات ـ محدودة الأمد ـ يتخللهما نظرة رجوعية إلى الماضي، بينما تذهب الحضارة الأوروبية إلى أن الزمن تيار مستمر، وخاصة منذ أن ارتبطت في القرن التاسع عشر بفكرة التقدم أو التطور التي تعني استمرار السير قدماً دون معوقات من النظرة إلى الوراء، فإذا تحدثنا عن التطور أو التحول فإنّما نستعير تصور الحضارة الأوروبية للزمن)[1].

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر: ص ٦٨.

إن فهم هذه القضية الجوهرية التي تحدث عنها إحسان عباس يوصلنا إلى فهم كثير من القضايا الاعتقادية في المضامين والأشكال والمبني والمعنى عند أصحاب الاتجاه الحداثي.

فالزمن في هذه الحياة الدنيا في التصور الإسلامي مخلوق من مخلوقات الله تعالى له صفات المخلوق، فهو مُوجد من عدم، وله بداية ابتدأ بها بأمر الله تعالى، وله نهاية ينتهي إليها، والزمن ليس محصوراً في هذه الحياة الدنيا، بل هناك زمن آخر وحياة أخرى الزمن فيها دائم غير منقطع.

أمَّا الزمن عند الجاهلي القديم أو المعاصر فإنه موجود بذاته ومستمر بلا نهاية، وهو محصور عندهم في هذه الحياة الدنيوية.

وقد أخبر الله تعالى عن عقيدتهم هذه في آيات عديدة منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

(١) الآيات ٣٣ ـ ٣٧ من سورة المؤمنون.

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾[1].

ولكي نتبين الفرق في قضية الزمن والحياة بين المنظور الإيماني والمنظور الجاهلي ننقل قول سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه القضية حيث قال: (وقضية البعث والحساب والجزاء في الدار الآخرة من قضايا العقيدة الأساسية التي جاء بها الإسلام، والتي يقوم عليها بناء هذه العقيدة بعد قضية وحدانية الألوهية، والتي لايقوم هذا الدين ـ عقيدة وتصوراً وخلقاً وسلوكاً وشريعة ونظاماً ـ إلاّ عليها وبها...

فالحياة ـ في التصور الإسلامي ـ ليست هي هذه الفترة القصيرة التي تمثل عمر الفرد، وليس هذ هذه الفترة المحدودة التي تمثل عمر الأمة من الناس، كما أنها ليست هي هذه الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية في هذه الحياة الدنيا.

إن الحياة ـ في التصور الإسلامي ـ تمتد طولاً في الزمان وتمتد عرضاً في الآفاق، وتمتد عمقاً في العوالم، وتمتد تنوعاً في الحقيقة عن تلك الفترة التي يراها ويظنها ويتذوقها من يغفلون الحياة الآخرة من حسابهم ولايؤمنون بها.

إن الحياة ـ في التصور الإسلامي ـ تمتد في الزمان، فتشمل هذه الفترة المشهودة ـ فترة الحياة الدنيا ـ وفترة الحياة الأخرى التي لايعلم مداها إلاّ الله، والتي تعد فترة الحياة الدنيا بالقياس إليها ساعة من نهار، وتمتد في المكان، فتضيف إلى هذه الأرض التي يعيش عليها البشر، داراً أخرى: جنة عرضها كعرض السموات والأرض، وناراً تسع الكثرة من جميع الأجيال التي عمرت وجه الأرض ملايين الملايين من السنين.

وتمتد في العوالم، فتشمل هذا الوجود إلى وجود مغيب لايعلم حقيقته كلها إلاّ الله، ولانعلم نحن عنه إلاّ ما أخبرنا به الله، وجود يبدأ

(١) الآيات ٢٣ ـ ٢٧ من سورة الجاثية.

من لحظة الموت، وينتهي في الدار الآخرة، وعالم الموت وعالم الآخرة كلاهما من غيب الله، وكلاهما يمتد فيه الوجود الإنساني في صور لايعلمها إلاّ الله.

وتمتد الحياة في حقيقتها، فتشمل هذا المستوى المعهود في الحياة الدنيا، إلى تلك المستويات الجديدة في الحياة الأخرى.. في الجنة وفي النار سواء.. وهي ألوان من الحياة ذات مذاقات ليست من مذاقات هذه الحياة الدنيا.. ولاتساوي الدنيا ـ بالقياس إليها ـ جناح بعوضة.

والشخصية الإنسانية ـ في التصور الإسلامي ـ يمتد وجودها في هذه الأبعاد من الزمان، وفي هذه الآفاق من المكان، وفي هذه الأعماق والمستويات من العوالم والحيوات.. ويتسع تصورها للوجود كله، وتصويرها للوجود الإنساني، ويتعمق تذوقها للحياة، وتكبر اهتماماتها وتعلقاتها وقيمها، يمتد ذلك الامتداد في الأبعاد والآفاق والأعماق والمستويات.. بينما أولئك الذين لايؤمنون بالآخرة، يتضاءل تصورهم للوجود الكوني، وتصورهم للوجود الإنساني، وهم يحشرون أنفسهم وتصوراتهم وقيمهم وصراعهم في ذلك الجحر الضيق الصغير الضئيل من هذه الحياة الدنيا.

ومن هذا الاختلاف في التصور يبدأ الاختلاف في القيم، ويبدأ الاختلاف في النظم... ويتجلى كيف أن هذا الدين منهج حياة متكامل متناسق، وتبيين قيمة الحياة الآخرة في بنائه: تصوراً واعتقاداً، وخلقاً وسلوكاً وشريعة ونظاماً.

إن إنساناً يعيش في هذا المدى المتطاول من الزمان والمكان والعوالم والمذاقات، غير إنسان يعيش في ذلك الجحر الضيق ويصارع الآخرين عليه، بلا انتظار لعوض عما يفوته، ولا الجزاء عما يفعله وما يفعل به.. إلاّ في هذه الأرض ومن هؤلاء الناس.

إن اتساع التصور وعمقه وتنوعه ينشيء سعة في النفس وكبراً في الاهتمامات ورفعة في المشاعر، ينشأ عنها هي بذاتها خلق وسلوك، غير

خلق الذين يعيشون في الجحور وسلوكهم، فإذا أضيف إلى سعة التصور وعمقه وتنوعه، طبيعة هذا التصور، والاعتقاد في عدل الجزاء في الدار الآخرة، وفي ضخامة العوض عما يفوت ونفاسته، استعدت النفس للبذل في سبيل الحق والخير والصلاح الذين تعلم أنه من أمر الله، وأنه مناط العوض والجزاء، وصلح خلق الفرد واستقام سلوكه ـ متى استيقن من الآخرة كما هي في التصور الإسلامي ـ وصلحت الأوضاع والأنظمة، التي لايتركها الأفراد تسؤ وتنحرف، وهي يعلمون أن سكوتهم على فسادها لايحرمهم صلاح الحياة الدنيا وحدها وخيراتها ولكنه يحرمهم كذلك العوض في الآخرة، فيخسرون الدنيا والآخرة)[1].

أين هذا التصور الشامل العميق من التصور الذي تحدث عنه إحسان عباس، في حديثه عن الموقف من الزمن؟.

فإنه إضافة إلى ارتمائه خلف المفهوم الجاهلي للزمن، افترى على التصور الإسلامي، حين صوره بتلك الصورة المقتبسة من التصور الغربي للدين، وهو تصور يقوم على خلفيات تاريخية وصراعات فكرية وانحرافات كنيسية، أدت إلى هذه النتائج!!.

وفي غمرة الاستلاب والغزو الثقافي والجهل الاعتقادي أخذ أبناء المسلمين هذه التصورات الغربية عن الدين فطبقوها ـ بتبعية حمقاء ـ على دين الإسلام.

وما قول إحسان عباس عن الزمن في الحضارة الإسلامية وأنه عبارة عن دورات محدودة الأمد يتخللها نظرة رجوعية إلى الماضي، إلاّ أحد الأمثلة على التقليد والمحاكاة لأفكار الغرب وعقائده وتصوراته.

ولو كان الرجل متحرر الفكر كما يدعي لما استأسر لهذه المقررات الغربية وانقاد لها انقياد التابع الضعيف، وليس هذا خاصاً به بل كل أتباع المنهج العلماني والحداثي على هذا المنوال.

---

(١) في ظلال القرآن ٢/١٠٦٨ ـ ١٠٦٩.

لقد حاول إحسان عباس في دراسته للزمن أن يضفي على الاتجاه الحداثي صفات التحضر والتقدم والاستمرار، بيد أنه لم يخرج في كل ذلك عن المنظور المادي لمفاهيم التحضر والديمومة، في الوقت الذي حاول أن يضفي فيه صفات البدائية والتخلف والرجعية على ما ظنه المنظور الإسلامي للزمن، ففي توطئته لهذه القضية قدم بكلام يدل على هذا الموقف، يقول: (إن هناك فرقاً في تصور الزمن بين الجماعات البدائية وبين الجماعات التي تعيش في ظل الحضارة، فالزمن للبدائي «فيولوجي» أو شعائري، أي أنه ربّما كان منعدماً، أمَّا الزمن بالنسبة للمتحضر فإنه «تاريخي»؛ لأنه شيء يُمكن قياسه والتعامل معه.

إن هناك فرقاً في تصور الزمن بين الحضارات القديمة والحضارة الأوروبية الحديثية، فالحضارات القديمة تستطيع التغاضي عن الزمن، بينما تصر الحضارة الأوروبية على وجوده، وتربط الثقافة والحياة ربطاً محكماً به)[1]. ثم يخلص من هذه المقدمات إلى الكلام عن الزمن في الحضارة الإسلامية وهو القول الذي سبق نقله.

وإذا ما قارنا بين هذا الفهم السطحي للزمن والفهم العميق الذي أشار سيد قطب إلى شيء منه في النص السابق، يبين لنا مدى الجناية التي جناها إحسان عباس على نفسه بقبوله بهذه التعمية الفكرية واستخذائه أمام هذا القول التقريري الخالي من الدليل والبرهان، والمفتقر إلى أدنى نظر وتأمل في نصوص الكتاب العظيم والسنة المطهرة، التي كان الحديث فيها عن الزمن والعصر والحياة الدنيا والآخرة من أوسع الحديث وأشمله وأعمقه وأدقه وأصوبه.

والذين يفترون على عقيدة المسلمين بجهل أو بتجاهل إنما يعبرون عن بعض آفاتهم العقلية.

إن إحسان عباس يعد الزمن في الاعتبار الديني «شعائرياً» وهذا يقتضي

---

(١) اتجاهات الشعر العربي المعاصر: ص ٦٧ ـ ٦٨.

عنده ان يكون «ميثولوجياً»[1] أسطورياً أو منعدماً، وفي هذا القول عدة مآخذ منها:

١ ـ إن الزمن في المفهوم الإسلامي وإن ارتبط بشعائر العبادة من صلاة وصوم وحج وغير ذلك من مواقيت العبادات فإنه لايقتضي أن يوصف بأنه شعائري، ولا يقتضي أن يكون إذا وصف بالشعائري أن يكون بدائياً، كما تتخيله العقلية المادية الغربية الجاهلية.

٢ ـ لا وجه للربط بين لفظ «شعائري» وأسطوري إلاّ في المفهوم الجاهلي الغربي، الذي جعل الإلحاد إطاراً لفكره وفنه وآدابه، واقتضى ذلك منه أن يكون الدين السماوي ـ أياً كان هذا الدين ـ في دائرة «الميث» أو الأسطورة.

وإحسان عباس وغيره من الحداثيين في هذا المرض المادي يتخبطون ويقولون ما لايعملون، ويهرفون بما لايعرفون.

٣ ـ وصف الزمن عند البدائيين ـ حسب تعبيره ـ بأنه منعدم، ويريد بالبدائيين، كل من عدا الأوربيين، وفي طليعة البدائيين حسب سياقه، وحسب موضوع الكتاب هم أصحاب العقيدة الإسلامية والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

ولم يبين إحسان عباس مراده بانعدام الزمان عند البدائيين!!.

فإن كان مراده بالزمن هذه الحياة الدنيا فلاشك أن الزمن فيها مخلوق من عدم، وزائل بيوم القيامة، التي يصبح فيها الزمان غير الزمان والحال غير الحال، وهذا هو مفرق الطريق بين عقيدة المؤمنين بالله تعالى وعقيدة الدهريين والماديين الذين يقولون باستمرار الزمان الدنيوي وديمومته.

وإن كان مراده بالزمن مطلق الزمان في الدنيا أو في الآخرة فإنه يكون بتوصيفه هذا قد كذب على أهل الإسلام بل وعلى غيرهم من أصحاب

---

(١) انظر: ما سبق عن الميثولوجيا.

الأديان السماوية الذي يعتقدون أن الزمن في الآخرة غير منعدم ولا منقطع.

وعلى كلا الاعتبارين يظل إحسان عباس وهو من المعتدلين في الحداثة كما يصورهم بعضهم!! يظل مرتبطاً بالمفهوم المادي الغربي ومنصبغاً بصبغته.

وهذا الصنيع نفسه يمارسه جابر عصفور في مقاله الهجائي «إسلام النفط» حين يتحدث عن الزمن في المفهوم السني الاتباعي، من منظورٍ علماني مادي متطرف، فيصور أن الزمن عبارة عن خط دائري منحنٍ هابط، في حين أن الزمن في المنظور الحداثي حركة تصاعدية راقية، وهي المفاهيم عينها التي أشار إليها إحسان عباس فيما نقلناه عنه آنفاً.

يقول جابر عصفور بعد أن ساق جملة من الأحاديث والآثار الأمرة بالاتباع والناهية عن الابتداع: (أمَّا المقولة الخاصة بالزمن فتقودنا إلى مفهوم التاريخ الذي يرتد إلى أصله، بالمعنى الذي يوقع التصور الخطي الأفقي للزمن على تصوره الدائري، حيث يتحول الزمن إلى حركة متكررة، ثابتة، تقع على نقاط خط منحدر، هابط، بدايته الايجاب المحض ونهايته السلب المطلق، فلايغدو التاريخ حركة صاعدة توازي ارتقاء الإنسان وتطور وعيه الموازي لتطور فعله الصاعد على سلم التقدم درجة درجة، مع التراكم الكمي والكيفي للمعرفة التي يصوغها، والأفعال التي يصنعها بل يغدو ينحط دائماً كلها مضينا صوب المستقبل، وباعدنا عن الماضي الأول الذي هو نقطة البداية والمنهج والأصل والمثال)[1].

ثم ينقل كلاماً لصنوه في المادية أدونيس، ثم كلاماً للشاطبي - رحمه الله - عن رسوخ علم السلف ثم يعقب عليه قائلاً: (وهي مقولة تبرر ثلاثية النقل والاتباع والتقليد، فما دام التاريخ منحدراً والمعرفة هابطة، فالابتعاد عن الأصل يرادف السقوط المنحدر، على سلم المعرفة والقيمة،

(١) الإسلام والحداثة: ص ١٨١.

ولا نجاة إلاّ بالعودة إلى الأصل اتباعاً، وتصديق كل مايصدر عنه تقليداً والالتزام بما يروى عنه نقلاً...)[1].

وهكذا نرى وشائج الترابط المادي بين الإيماء بجحد وجود الله ـ تعالى ـ وجحد أحقيته في العبادة والحكم والأمر والطاعة والاتباع، والتصريح بأن ذلك هو أساس التصور للزمن المنحدر أو للخط الأفقي الدائري الهابط، وهي عبارة أخرى مكررة المعنى للرجعية والتخلف وغيرها من عبارات الشتائم الماركسية والوجودية، ثم يصل في الأخير إلى أن النقل والاتباع والتقليد هي أصول هذا التخلف، ومراده في كل ذلك نسف أصول الإسلام من خلال مغالطات كلامية وسفسطات لفظية ليس لها في ميدان العقل والبرهان رأس ولا قدم.

وليس المقام هنا مقام الرد على هذه الأخلاط الحداثية؛ إذ الكلام عن الزمن في المفهوم العلماني المادي، وهو المفهوم القائم على التشبث بالدنيا والبقاء فيها، واعتقاد أبديتها، واستمراريتها وتجددها دائماً من غير انقطاع ولا زوال.

وهو الاعتقاد الذي سوغ لهم القول بحتمية التطور والتجدد في الحياة وأعمال الإنسان ومناشطه وإبداعاته ومخترعاته ومكتشفاته.

وهي الحتمية التي قامت أصلاً على خرافة دارون المسماة نظرية النشوء والارتقاء.

فهذه حلقات سلاسل الجهالة الحداثية القائلة بأبدية الدنيا ودوام الدهر واستمرار الزمان، وسرمدية العالم وأبدية الحياة الدنيوية[2].

أمَّا كلام جابر عصفور حول النقل والاتباع والتقليد أنها سبب الانحدار والتخلف فيرد عليه بأن هذه دعوى باطلة وحجة داحضة وافتراء على الحقيقة، ويُمكن أن يقال له من جنس قوله ولكن بالحق والصدق لا بالكذب والافتراء.

---

(١) الإسلام والحداثة: ص ١٨١.

(٢) انظر: تفصيل الرد على هذه الافتراءات في كتاب نقض أوهام المادية الجدلية: ص ١١٦ ـ ١٣٥.

إن الذي تقوم به أنت وأشباهك في بلاد المسلمين لايتجاوز حدود النقل والاتباع والتقليد، النقل عن الغربيين نقلاً حرفياً في أكثر الأحيان، ونقلاً فكرياً واعتقادياً في كل الأحيان، والاتباع الذي يستند إلى مقولات خائفة منهزمة، تتمثل في أن الغرب متقدم مادياً فلابد أن يكون متقدماً فكرياً واعتقادياً وسلوكياً، فلابد من اتباعه في أفكاره وعقائده وأخلاقه لتنال ما نال من تقدم!!.

والتقليد والمحاكاة التي ظهرت في المذاهب الأدبية والعبارات الشعرية والمدارس النقدية والمناهج الفكرية بل وحتى في الشكل والهيئة واللباس والزي.

إنها حالات انصهار كامل وامحاء تام يمارسه هؤلاء باسم التحديث والتقدم والحرية الفكرية، ثم يحلو لهم بعد ذلك القول بأنهم أصحاب تفكير مستقل، ونظرة حيادية، وموضوعية فكرية!!.

إن ثلاثية النقل والاتباع والتقليد الحداثي الذي غرق فيه هؤلاء، وتشبعوا به غاية التشبع، لاتتيح لهم أدنى مجال للنظر والتأمل في ما عند خصومهم من أهل الإيمان والإسلام من حق وبرهان ويقين وسلطان.

بل انعكست عقولهم غاية الانعكاس، وتدهورت أفهامهم إلى النهاية حين آمنوا بالخرافة وجحدوا الحق، وأيقنوا بالمحالات وأنكروا اليقين، واستسلموا للشبهات وفروا من البراهين، واتبعوا الباطل، وابتعدوا عن الحق: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[1].

إن الزمن اللانهائي حسب تعبير إحسان عباس[2] والزمن المتقدم باطراد حسب رأي جابر عصفور[3] ليست سوى صور تعبيرية جديدة لمذهب الدهرية القديم، أضاف إليه هؤلاء تفسيرات إلحادية من نوع قول جابر

---

(١) الآية ١٨ من سورة الحج.

(٢) انظر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر: ص ٦٨.

(٣) انظر: الإسلام والحداثة: ص ١٨١ ـ ١٨٢.

عصفور أن مقولة الزمن عند المسلمين مرتبطة بالجبر وبقضية العلة والمعلول، وكلا الأمرين يجعلان الزمن يسقط نفسه ميتافيزيقياً على الإنسان، حتى تصبح حركة الزمن في المفهوم الإسلام ـ في نظره ـ أشبه بمحلك سر، والزمن بهذا المفهوم والقدر والجبر الميتافيزيقي كلها تنحدر بحركة الإنسان سلباً نحو الأسفل[1].

إلى آخر خرافاته الجاهلية التي تأبى عليه إلاّ قلب الحقائق وإنكار اليقينيات واتباع الظن وما تهواه الأنفس، على طريقة أهل الجاهلية الأولى، الذين يعتبر هؤلاء من أبرز وراثها وأشهر أتباعها في هذه الأزمان.

يقول سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ: (والذين يفترون على عقيدة الحياة الآخرة فيقولون: إنها تدعو الناس إلى السلبية في الحياة الدنيا، وإلى إهمال هذه الحياة، وتركها بلا جهد لتحسينها وإصلاحها، وإلى تركها للطغاة والمفسدين، تطلعاً إلى نعيم الآخرة، الذين يفترون هذا الافتراء على عقيدة الآخرة يضيفون إلى الافتراء الجهالة! فهم يخلطون بين عقيدة الآخرة ـ كما هي في التصورات الكنيسية المنحرفة ـ وعقيدة الآخرة كما هي في دين الله القويم.. فالدنيا ـ في التصور الإسلامي ـ هي مزرعة الآخرة، والجهاد في الحياة الدنيا لإصلاح هذه الحياة، ورفع الشر والفساد عنها، ورد الاعتداء عن سلطان الله فيها، ودفع الطواغيت وتحقيق العدل والخير للناس جميعاً.. كل أولئك هو زاد الآخرة، وهو الذي يفتح للمجاهدين أبواب الجنة، ويعوضهم عما فقدوا في صراع الباطل، وما أصابهم من الأذى.. فكيف يتفق لعقيدة هذه تصوراتها أن يدع أهلها الحياة تركد وتأسن أو تفسد وتختل، أو يشيع فيها الظلم والطغيان، أو تتخلف في الصلاح والعمران.. وهم يرجون الآخرة، وينتظرون فيها الجزاء من الله؟.

إن الناس إذا كانوا في فترات من الزمان يعيشون سلبيين، ويدعون الفساد والشر والظلم والطغيان والتخلف والجهالة تغمر حياتهم الدنيا ـ مع

---

(١) انظر: المصدر السابق: ص ١٨٢.

ادعائهم الإسلام ـ فإنّما هم يصنعون ذلك كله أو بعضه؛ لأن تصورهم للإسلام قد فسد وانحرف؛ ولأن يقينهم في الآخرة قد تزعزع وضعف! لا لأنهم يدينون بحقيقة هذا الدين، ويستيقنون من لقاء الله في الآخرة، فما يستيقن أحد من لقاء الله في الآخرة، وهو يعي حقيقة هذا الدين، ثم يعيش في هذه الحياة سلبياً أو متخلفاً، أو راضياً بالشر والفساد والطغيان)[1].

وفي هذا رد على الافتراء الجاهلي الحداثي الذي ردده إحسان عباس وجابر عصفور وغيرهما ممن انطمست بصائرهم وغطت شبهات الجاهلية المعاصرة على عقولهم، فأصبحت لاتتسع تصوراتهم وعقولهم وقلوبهم لليقين بحياة خلف هذه الحياة الزائلة (وكان العرب في جاهليتهم ـ وبسبب من هذه الجاهلية ـ لاتتسع آفاقهم التصورية والشعورية والفكرية للاعتقاد في حياة أخرى غير هذه الحياة الدنيا، ولا في عالم غير هذا العالم الحاضر، ولا في امتداد الذات الإنسانية إلى آماد وآفاق وأعماق غير هذه الآماد المحسوسة.. مشاعر وتصورات أشبه شيء بمشاعر الحيوان وتصوراتهم.. شأنهم في هذا شأن الجاهلية الحاضرة «العلمية» كما يصر أهلها على تسميتها!.

«وقالوا: إن هي إلاّ حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين» وكان الله ـ سبحانه ـ يعلم أن الاعتقاد على هذا النحو يستحيل أن تنشأ في ظله حياة إنسانية رفيعة كريمة.. هذه الآفاق الضيقة في الشعور والتصور التي تلصق الإنسان بالأرض، وتلصق تصوره بالمحسوس منها كالبهيمة.. وهذه الرقعة الضيقة من الزمان والمكان، التي تطلق السعار في النفس، والتكالب على المتاع المحدود، والعبودية لهذا المتاع الصغير، كما تطلق الشهوات من عقالها تعربد وحدها بلا كابح، ولا هدنة، ولا أمل في عوض، إن لم تقض هذه الشهوات الهابطة الصغيرة، التي لاتكاد تبلغ نزوات البهيمة! وهذه الأوضاع، التي تنشأ في الأرض منظوراً فيها إلى هذه الرقعة الضيقة من الزمان والمكان، بلا عدل ولا رحمة، ولا قسط ولا ميزان... إلاّ أن يصارع الأفراد بعضهم بعضاً، وتصارع الطبقات بعضها بعضاً، وتصارع الأجناس بعضها بعضاً... وينطلق

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٧٠.

الكل في الغابة انطلاقاً لايرتفع كثيراً على انطلاق الوحوش والغيلان! كما نشهد اليوم في عالم «الحضارة» في كل مكان.. كان الله ـ سبحانه ـ يعلم هذا كله، ويعلم أن الأمة التي قدر أن يعطيها مهمة الإشراف على الحياة البشرية، وقيادتها إلى القمة السامقة التي يريد أن تتجلى فيها كرامة الإنسانية في صورة واقعية.. أن هذه الأمة لايُمكن أن تؤدي واجبها هذا إلاّ بأن تخرج بتصوراتها وقيمها من ذلك الجحر الضيق إلى تلك الآفاق والآماد الواسعة.. من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

ولهذا كان ذلك التوكيد على حقيقة الآخرة.. أولاً لأنها حقيقة، والله يقص الحق، وثانياً لأن اليقين بها ضرورة لاستكمال إنسانية الإنسان: تصوراً واعتقاداً، وخلقاً وسلوكاً وشريعة ونظاماً)[1].

من هنا يُمكن أن نتبين الفرق الهائل والبون الشاسع بين عقيدة أهل الإسلام وعقيدة أهل الإلحاد والمادية، فرق في التصور والشعور والفكر والاعتقاد والأعمال والعلاقات والمناشط، فرق بين حياة الإنسان المكرم والحيوان المهان، وفرق بين التصور القائم على الحق واليقين والموصل إلى الخير والصلاح، والتصور القائم على الجحد والنكران والموصل إلى الخسارة والضياع.

وإذا أردنا تصور بعض تفاصيل هذا الفرق بين التصورين فلنقرأ التحليل النقدي الحداثي الذي صاغه إحسان عباس في الفصل المسمى «الموقف من الزمن» سواء في المقدمة التي قدم بها ونقلنا مقاطع منها أو في الدراسة التي أجراها لقصيدة «نهر الرماد» لخليل حاوي ولقصيدة «في المغرب العربي» للسياب، ولمقاطع لنازك الملائكة التي يرى إحسان عباس أنها في كلامها: (تنتقل من الفكرة الميتافيزيقية للزمن)[2]، وأن (... الأمس في شعر نازك ـ في أغلب المواقف ـ ميت «جثة الماضي الغريق»، لايُمكن إحياؤه أو بعثه)[3].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١.

(٢) اتجاهات الشعر العربي المعاصر: ص ٧٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٦.

ثم لمقاطع من كلام أدونيس التي يرى إحسان عباس أن شخصياته التي وظفها في شعره شخصيات خالدة لا تفنى ولا تتبدل، تستعصي على الموت، ويضرب لذلك مثالاً بزيد بن الحسين ومهيار[1]، ويلخص إحسان عباس عقيدة أدونيس الدهرية في قوله: (ليس للزمن وجود ذاتي متميز عند أدونيس، وإنّما هو مجال، ساحة لدينامية الإنسان امتداد... إنه لا يحاول أن يرى سوى الصيرورة المستمرة وحياة التحولات في أقاليم الليل والنهار، إن أدونيس لايبحث زمناً ضائعاً... وإنّما يلاحق زمناً لم يولد بعد، بل إن قولنا: لم يولد بعد مجاز؛ لأن الإنسان متحد به، وهو في صيرورته المستمرة يرسم له أبعاده)[2].

ثم يشخص هذا التصور عند أدونيس في «مهيار» الذي يرى إحسان عباس أنه قد أصبح عند أدونيس «إلهاً» له قدرة على توجيه الحياة الإنسانية، وتكييف الإنسان بقدرة يسميها الناس خارقة[3].

ويلخص إحسان عباس دراسته للزمن عند هؤلاء وغيرهم في الفرق بين الزمن الرومنطيقي الخالص وأحياناً الميتافيزيقي كما هو الحال عند نازك والسياب، وبين زمن قائم على الصيرورة المستمرة، يفعل فيه الإنسان ويتفاعل به[4].

هذه الملخصات الاعتقادية التي حشدها إحسان عباس واستشهد لها من كلام كبار رؤوس الحداثة تدلنا بجلاء على مدى التباين بين عقيدة الإسلام نحو الزمان في الدنيا والآخرة، وعقيدة الحداثة نحو الزمان الدنيوي السرمدي المتواصل المتحول الذي لاينتهي مطلقاً!! وهي العقيدة التي أوصلتهم في ختام الأمر إلى هذا التلبط الهابط بالدنيا وما فيها، وهذا الارتكاس الأهوج في الأعمال والسلوك والأخلاق، لقد أصبحوا بهذه العقيدة الباطلة سجناء

---

(١) انظر: المصدر السابق: ص ٨١.
(٢) المصدر السابق: ص ٨١ ـ ٨٢.
(٣) انظر: المصدر السابق: ص ٨٢.
(٤) المصدر السابق: ص ٨٧.

سجن متعدد الجدران، ابتداء بهذه الجبرية المادية التي وضعوها في عقولهم، ومروراً بالحتميات المادية فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو طبقية، وانتهاء بسجون النظم والمذاهب والشهوات والشبهات، فهم في غيهم يضطربون وفي ظلامهم يعمهون ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[1].

وأدلة هذه الظلمات التي يعيشونها ويقولونها كثيرة في أعمالهم، وهنا سوف أسرد جملة من الشواهد على زعمهم أبدية الدنيا أو بعض مافيها، فمن ذلك قول أدونيس الذي نقلناه آنفاً حيث جعل من عيوب المجتمع العربي الإيمان بالآخرة لا بالدنيا[2]، وجعل من عيوب التراث امتلاؤه وارتباطه بالإيمان بالآخرة[3].

وله في هذا الإطار إيماءات عديدة منها المقاطع التي سماها «قصائد لاتنتهي»[4] وهو تعبير يتفق مع عقيدة اللادينية الدنيوية، حيث يتضمن هذا التعبير الوهم القائل بخلود الشعر الحديث والشاعر الحداثي، خاصة إذا أخذ في سياق عقيدته الجاحدة للآخرة والمؤمنة بالدنيا فحسب.

ومن تعبيراته الدنيوية الدهرية قوله تحت عنوان «مزامير الإله الضائع»:

(هذا الجسد

سحر أغوى الأرض

---

(١) الآيتان ٣٩ ـ ٤٠ من سورة النور.

(٢) انظر: زمن الشعر: ص ٦٧.

(٣) انظر: المصدر السابق: ص ٢٧٧.

(٤) الأعمال الشعرية الكاملة ١/ ٦٥.

ألا ترضى

ولهيب تشهٍّ لايبترد

من أطفال الجسد الأبد

فيه نغرس، فيه نقطف

فيه مالايعرف، يعرف)[1].

ومن هذا النمط الجاهلي الهابط المنحدر قول يوسف الخال: (وإذا فقد الإنسان سنداً له في نظام «إلهي» أبدي، يرئسه[2] إله عادل رحيم يحميه ويكافئه هنا أو في السموات وجد نفسه أمام نظام من صنع يديه لاستئناف لأحكامه إلى سلطة عليا)[3].

وقوله:

(. . . والربيع مقبل

لابد مقبل

من الحقول والقبور مقبل

فالموت والحياة واحد

والأرض وحدها البقاء)[4].

وقوله:

(هذه الهنيهة التي نعبثها

هي الحياة كلها

---

(١) المصدر السابق ١/٢١٣.

(٢) هكذا والصواب: يرأسه.

(٣) نحو أدب عربي حديث مقال في مجلة أدب، المجلد الثاني، العدد الأول شتاء ١٩٦٣ م/ ١٣٨٢ هـ: ص ٩.

(٤) الأعمال الشعرية ليوسف الخال: ص ٢١٣.

هي الأنا والأنت يا حبيبتي

وما الوراء إلا ظلمة

كالموت، كالإله لانعرفها)[1].

وقوله:

(أنا خالد فكيف تريدني أن أتبع؟)[2].

ومن هذا القبيل قول البياتي الماركسي المتعصب:

(سيدتي، لم تؤمن، حتى الآن بأن الأرض تدور

وبأنا ذرات، لاتفنى، سابحة في النور)[3].

أمَّا الشيوعي الفلسطيني والحداثي الشهير: سميح القاسم فإنه يصرح باعتقاده الدهري في قوله:

(سل جدك المحدودب الأعمى

وسل أبويك، هدهما العذاب وقوست ظهريهما

عجلات شيء واسمه الدهر

الذي لاينتهي)[4].

وفي موضع آخر يتبجح بإلحاده مفاخراً بالشيوعية التي يعدها نهاراً وتقدماً، ويعد الإسلام والإيمان بالآخرة تخلفاً ورجعية وليلاً دامساً وانغلاقاً، في سياق مادي يقدس الإنسان ومشيئته التي ـ يراها حسب منظوره الجاهلي

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٨٥.

(٣) ديوان البياتي ٢/ ٤٣٥.

(٤) ديوان سميح القاسم: ص ٣٠٧.

ـ أنها لاتهزم ولاتذوي ولاتهرم، والتي من أجلها يكره الآخرة ـ إن كان يؤمن بالآخرة ـ، ويعشق الدنيا والحياة فيها، على سنن الدهريين من قديم الزمان إلى اليوم، كل ذلك في قوله:

(وما لليل لا يفهم

بأن الشمس لا تلجم

وأن المارد الجبار سوف يهشم القمم[1]

وما لنبوخذ المأفون لا يقنع

بأن جذورنا في الأرض راسخة.. ولن تقلع

وأن مشيئة الإنسان لا تذوي.. ولا تهرم

واني أكره الأخرى

وأعشق أعشق الدنيا

وإني شئت أن أحيا! وأن أحيا!)[2].

قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾[3].

وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢١٢﴾[4].

---

(١) هكذا في المطبوع ولعل مراده القمقم.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٨٩.

(٣) الآيتان ٧ ـ ٨ من سورة يونس.

(٤) الآية ٢١٢ من سورة البقرة.

ويلخص الملحد علاء حامد آراء أساتذته وأقرانه من الحداثيين في روايته مسافة في عقل رجل، فيقول بعد أن يجحد وجود الجنة والنار، وأن ما ذكر عنها لم يعد يهتز وجدان الإنسان العصري (لأن تلك الجنة لم تعد تغريه ولا النار ترتعد منها فرائصه، إنّما أصبح الحديث عن أي منهما في إحدى دور العبادة ومضة برق سرعان ماتختفي وسط شواغل الإنسان اليومية.

لم يعد هذا مقنعاً في عصر أصبح العقل فيه سيد الموقف لذلك لم تبقى[1] أمام اقناع الإنسان سوى طريق واحد، وعد في جنة أرضية واقعية يقطف ثمارها وهو حي يرزق، واحة سلام يجد فيها متعة الجسمية والعقلية والعاطفية، يعثر فيها على سلام نفسه المفقود، يجد ذاته من خلال البحث المضني، يرمي بأثقال الحياة التي تقيد حركة عقله وفكره، جنة يجد فيها الحب والمرح والسعادة)[2].

ولا أجد أبلغ في الرد على هذه السخافات الظاهرة لكل ذي عقل من قوله تعالى: ﴿... وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾[3].

وقوله ـ جَلَّ في عُلاهُ ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

---

(١) هكذا والصواب لم تبق والرواية خبيثة المعنى وركيكة المبنى مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية مما يدل على مستوى صاحبها.

(٢) مسافة في عقل رجل: ص ٧. وانظر نحو هذا في: ص ١١، ١٨، ١١٢.

(٣) الآيتان ٢ ـ ٣ من سورة إبراهيم.

وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[1].

وقد يعترض معترض على هذه الطريقة في الرد على هؤلاء، ويقول بأن الأولى أن يحاكم إلى العقل والمنطق المجرد؛ لأن الملحد لا يؤمن بالدليل!!.

وأقول بأن هذا القول وأشباهه كثير عند الحداثيين وهو لايستحق المجادلة بالحجة والدليل العقلي والحسي؛ لكونه خلواً من البراهين والأدلة، وهو في الوقت نفسه يطفح بالدعاوي والتكذيبات والشكوك المجردة، وهذه لاتستحق نقاشاً ولا جدالاً، ثم إن من مقاصد هذا الكتاب بيان أن عقيدة الحداثيين العرب غير عقيدة الإسلام، بل هي نقيض صريح لكل الإسلام، وما علاء حامد الذي رفع الحداثيون ألوية الدفاع إلاّ صورة ملخصة لآرائهم وعقائدهم، ومن لم يقل منهم يمثل أقواله فلاشك أنه يدافع عنه تحت حجة حرية الرأي والفكر، وهذا ما لم يسلم منه أي حداثي في أي بلد، وكفى بذلك إثماً وكفراً مبيناً، ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾[2].

ومن تلخيصات علاء حامد لعقائد الزمرة الحداثية قوله مفسراً ظاهرة الحياة الموت: (الإنسان لايموت بل يهدم، مثل الإنسان في هذا مثل أي صناعة تقوم على نظرية علمية، فالتلفزيون والثلاجة والمصباح الكهربائي والصاروخ كلها مخترعات تقوم على نظريات علمية... وما التطور الحادث في مجال المخترعات إلاّ تعبيراً عن التطور الحادث في النظرية الإنسانية، الفرق بين كلا النوعين أن تطور المخترعات من ورائه العقل البشري، أمّا التطور الإنساني فبداخله مولد الطاقة، أي بداخله إمكانات وعوامل تطوره، فالإنسان كصناعة معقدة من اللحظة التي ينشأ فيها إلى اللحظة التي يتم فيها

---

(١) الآيات ١٠٤ ـ ١٠٩ من سورة النحل.

(٢) الآية ٢٢ من سورة المجادلة.

هدمه هذه الصناعة تقوم على نظرية ترسم كيفية تكوينه واستمراره ثم هدمه نقولها عشرات بل مئات المرات، الإنسان لايولد بل ينشأ، ثم الإنسان لايموت بل يهدم؛ لأن الموت فناء، وهنا الموت تحول من مادة إلى أخرى، أي: أنه هدم...)[1].

(لقد قلنا: إن الإنسان يهدم ولايموت؛ لأن الهدم بقاء وتحول أمّا الموت فهو فناء، والإنسان بعد هدمه يتحول من مادة إلى مادة أخرى ولكنه لايفنى، وقلنا إن سبب الهدم هو تغلب أسباب الهدم على أسباب البقاء، أعداد رهيبة من المكروبات تحاول هدم الجسد، وفي مقابلها جيوش من الكرات البيضاء تدافع بضراوة، الأول بكل أسلحة الدمار، والثاني بكل تحصيناته الدفاعية الذاتية والخارجية المتمثلة في العقاقير الطبية والتقدم العلمي، ويبقى الجسد أرض المعركة، والصراع بين قوى الهدم والبقاء حتى تنتصر في النهاية قوى الهدم، ليتحول بعد ذلك هذا الجسد إلى مادة أخرى، إذن فالنهاية المحتومة أن تنتصر قوى الهدم، طال الوقت أم قصر، هذه هي الحقيقة التي لا مهرب منها، وليست كما يعزوها كهان الدين لملاك الموت الذي ينتزع الروح من الجسد انتزاعاً متى حان الأجل دون أسباب، والسؤال: هل يُمكن إطالة عمر الإنسان؟ نعم بتقوية دفاعات الجسد ضد قذائف الميكروبات، بل ليس مستبعداً أن يتقدم العلم خطوة، بل خطوات في مجال تقوية الأساس البنائي للإنسان، أي بتهجينه لنجد أمامنا إنساناً جديداً يعمر مئات بل آلاف السنين، وانتصار قوى الهدم ليس سوى تطبيق لنظرية العودة لنقطة البداية ـ إلى أن يقول: ـ وهذا يُكمل النظرية القائلة أن المادة لاتفنى بل تتحول، وهو الحادث أيضاً في الجسد الإنساني، فبعد هدمه لايفنى بل يتحول، ويبدأ هذا التحول بعد الهدم مباشرة)[2].

ولولا أن من مهام هذا البحث إثبات مدى الانحراف الاعتقادي فيما يسمى أدب الحداثة، لما قمت به بنقل هذا الهراء والكلام المتهافت، ومن

---

(١) مسافة في عقل رجل: ص ٢١٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٧ ـ ٢١٨، ونحو هذا في: ص ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤.

فوائد الاطلاع عليه أن الإنسان المسلم يحمد الله على نعمة الإيمان والعقل، ويسأل الله العافية من أن يرد إلى أسفل سافلين كحال هؤلاء الملحدين.

ومن جنس هذا السخف الذي ردده علاء حامد ما ذكره صاحب كتاب «أحاديث عن جبران» في قوله: (إن جبران كان يعتقد بتناسخ الأرواح، فالمرء لا يزول من هذه الدنيا، بل إنه ينتقل منها إلى عدة حيوات، وقد روى لماري هاسكل عن انتقاله هو بالذات مراراً وتكراراً فقال: إنه عاش حياة بشرية في الماضي: مرتين في سوريا ومرة في إيطاليا وأخرى في اليونان ومرة في مصر وست مرات أو سبع في بلاد الكلدان وواحدة في كل من الهند وفارس)[1].

ومن هذا أيضاً ما كتبته صاحبة كتاب «سباحة في بحيرة الشيطان» عن خرافة التقمص، في سياق المقتنع المؤمن بها[2].

فواعجباً لهؤلاء الذين جانبوا الحق والحقيقة والصدق واليقين، وأخذوا الباطل واعتنقوا الضلال والجهل والخرافة، ثم هم مع ذلك يدعون أنهم أرباب العقول وأهل الفكر.

أكاد أسخر منهم ثم تضحكني دعواهم أنهم أصحاب أفكار[3].

ثالثاً: سخريتهم واستخفافهم باليوم الآخر وما وراءه:

قد ذكرنا في الفصول الماضية طريقتهم في النيل من الحقائق، وأسلوبهم في زعزعة اليقينيات الثابتة من خلال استعمالهم لأسلوب السخرية والاستهزاء، وهم وإن كانوا قد رسخوا هذا الأسلوب وتوسعوا في استعماله، إلاّ أنهم لم يخرجوا فيه عن أساليب الكفار البدائيين الأوائل، وقد أخبر الله تعالى عن ذلك، في خصوص سخرية الذين كفروا بالمؤمنين بعقيدة اليوم الآخر فقال ـ جَلَّ

---

(١) أحاديث عن جبران: ص ١١٥.

(٢) انظر: كتاب «سباحة في بحيرة الشيطان» لغادة السمان.

(٣) في طريق الفجر: ص ٢٢١ لعبدالله البردوني.

ذكْره ـ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[1].

لقد ابتدأ هؤلاء الجاهلون ضلالهم من ضمن ما ابتدأوا به حين اثاقلوا إلى الأرض بأعراضها الزهيدة واهتماماتها الصغيرة، فوقفوا عندها لايتجاوزونها ولايمدون بأبصارهم إلى شيء وراء هذا المتاع الزائل، ولايعرفون شيئاً غير هذه الحياة الحسية، ولايعترفون بقيم غير تلك القيم التي تفرضها شهوات الدنيا وأهلها، ومن كان هذا حاله فلايمكن أن يسمو تصوره أو ترتقي اهتماماته أو ترتفع غاياته عن هذه السفوح الهابطة، ولايُمكن أن يصل ببصيرته إلى تلك الآفاق الإيمانية التي يعيش المؤمن بها ومعها في هذه الحياة العاجلة.

ومع كل ذلك فإننا نجد هؤلاء الصغار، المهازيل في أفكارهم وعقائدهم وتصوراتهم وطموحاتهم، نجدهم يسخرون من الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، ينظرون بازدراء واحتقار إلى من هم أجل منهم وأعظم وأشرف وأكرم، ينظر الغارقون في وحول المادية والمستعبدون للأرض والحياة الدنيوية، إلى الذين آمنوا فيسخرون منهم، ومن إيمانهم وعقائدهم وتصوراتهم وأعمالهم؛ لأن الميزان الذي يزن به الكافرون الأعمال والقيم والعقائد هو ميزان الحس والمادة، ميزان الطين والأرض والشهوة، ميزان الجاهلية والضلالة، فلا غرو أن يكون حكمهم مترعاً بمقتضيات هذه الأعراض والأوصاف والأحوال، ألم يكن أسلافهم على خطتهم الساخرة حين مروا على نوح عليه الصلاة والسلام وهو يصنع الفلك؟ لقد كانت موازينهم الدنيوية ومعاييرهم الجاهلية تؤزهم إلى السخرية من هذا النبي الذي توعدهم بالطوفان، ولكنهم بسبب ماديتهم وحيوانيتهم وجاهليتهم لايرون في الفلك المصنوع على اليابسة إلاّ محل تندر وسخرية وضحك واستهزاء، ولكن نوح عليه الصلاة والسلام قال لهم بلسان الموقن المستبصر العاقل العالم ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[2].

---

(١) الآية ٢١٢ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٨ من سورة هود.

إنهم يملكون في أيديهم ميزان الحق والبصيرة، ويعلمون الحقيقة كما هي عليه من غير غبش ولا لبس، فليمضوا في طريقهم لايحفلون بسفاهة السفهاء، وسخرية الساخرين، واستهزاء الجاحدين، إنهم أعلى منهم في هذه الدنيا وفي الآخرة كما هو الواقع الذي أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[1].

وكما أخبر سبحانه وتعالى في شأن سخريتهم بعقيدة اليوم الآخر: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾[2].

وإذا ذهبنا إلى تتبع أقوال أهل الأدب الحديث الذي سخروا فيها من هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، فإننا نجد الكثير من غثائهم وسفاهاتهم الدالة على مناقضتهم الكاملة لملة الإسلام، وحربهم المستعرة لعقائده وأركانه وأصوله وسائر قضاياه.

ومن ذلك قول الباطني النصيري الملحد أدونيس: (ضال ضال لن أعود، السقوط حالتي وشرطي، الجنة نقيضي)[3].

ويكفيك من شر سماعه!! هذا هو إمام أهل الحداثة العربية، وهذا نعته لنفسه، فما بال الفارغين الساقطين يدّعون أنهم باتباعهم له ومحاكاتهم له ودفاعهم عنه يمارسون الحق والتقدم والصعود؟!.

أليس في هذا القول مايكفي للدلالة على حالته وحياته وعقيدته وفكره؟، ولكن المقلدين لايفقهون!.

أمَّا كون الجنة نقيضاً له فلا ريب في ذلك وإن ساق ذلك في سياق تهكم وسخرية.

---

(١) الآية ١٣٩ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٢١٢ من سورة البقرة.

(٣) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس ١/ ٣٨٣.

من سخرياته بالآخرة وحقائق الغيب الثابتة فيه قوله:

(رقعه من شمس البهلول

هكذا

يكلمني كرسي ليس بيني وبينه ترجمان

عند الكرسي حوض

عند الحوض ميزان

حول الميزان بقرة غمامة

والكتب تتطاير

هنا

ينبت الناس كما ينبت الحب في السيل إذا اشتهى الإنسان طائراً سقط بين يديه مشوياً بعد أن يشبع تتجمع عظام الطائر وينهض ليرعى هنا أشجار تخرج من أوراقها ثياب لا تبلى

سحائب لا يسألها الإنسان شيئاً إلاّ أمطرته

بعضهم يقول: أمطرينا نساءً

فتمطر. ويدخل الرجل في المرأة

دحماً دحماً

وإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً

فجأة ظهر في الجهة الثانية هنالك

عنق من النار يتكلم

كان رجل وامرأة يتجهان نحوه رأيت النار تتغيض وتشهق

وقيل: هذه نار ضربت بالبحر مرتين لولا ذلك لم تكن فيها منفعة لأحد

وسمعت من يقول: خلص اللبن من الماء ثم غاب صوته كأنه يسد

ثقباً في جرم الكون رأيت شخصاً خارجاً من النار يجر لحمه كما تجر المرأة

ثوبها رأيت سحابة تنادي أهلها:

ـ ماذا تطلبون؟

ـ ماءً ماءً

لكن السحابة تمطرهم سلاسل وجمراً وقيل: لهؤلاء طعام لايدخل

المعدة لايعود إلى الفم يبقى بين الحلقوم والمعدة

ورأيت سجناً يقال له موسى وقيل بولس وقيل مصطفى

فيه أشخاص يبكون تسيل عيونهم جداول رأيت مراكب

تجري فيها)[1].

هذه الصورة التي سردها الباطني الملحد في استخفاف وسخرية بحقائق اليوم الآخر، وذلك حين جعل كل ذلك رقعة من شمس البهلول الذي يجعله رمزاً للدجل والكذب والعته، ثم يختم سياق سخرياته هذه بجعل السجن الذي في النار ـ كما في سياق افتراءاته ـ بأسماء ترمز للأديان موسى عن اليهودية، وبولس عن النصرانية، ومصطفى عن الإسلام، وهو بهذا يريد أن يقول بأن الدين سجن منذ أن جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

إضافة إلى كل ذلك فإنه ساق هذه المشاهد على أساس أسطوري خلط فيه بين الثابت الصحيح مما جاءت به النصوص، والكذب المفترى مما أنتجته قريحته الجاهلية المنحطة.

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٥٠٩ ـ ٥١٠.

وفي موضع آخر يستشهد بكلام أشياخه النصيريين ويقتبس عبارات «الشلمغاني[1]» النصيري التي فيها الإلحاد الصريح والسخرية من الجنة والنار، فيقول:

(ويقول الشلمغاني

اقرأوا كتابي ـ الحاسة السادسة في إبطال الشرائع

الجنة أن تعرفوني

النار إن تجهلوني)[2].

وفي مقطع آخر يتحدث عن «القرمطي» مشيداً به ملتصقاً بباطنيته ممتدحاً بمبادئه الضالة، في إشارة واضحة إلى مدى التقارب الفكري والمنهجي والاعتقادي، وفي دلالة صارخة على الانتماء الباطني الذي لم يفارقه أدونيس ولم يتخل عنه، وفي ذلك رد واضح جلي على الذين يظنون أن أدونيس مجرد مفكر حديث أو مبدع معاصر، إن صحت هذه الألقاب والعبارات، يقول أدونيس:

(وقال القرمطي

أنا النور لا شكل لي

وقال أنا الأشكال كلها

سمع أدونيس ورفع ساعديه تمجيداً)[3].

ثم يقول:

(وقال القرمطي:

الجسد صورة الغيب

---

(١) سبقت ترجمته: ص ٣٧٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٥٤٨.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥.

وحمل الأرض في كتفي ناقةٍ وأعلن

أنا الداعية والحجة ←)[1].

ثم يخاطب القرمطي:

(استغونا أيها السيد استدرجنا...

استغونا استدرجنا

نتوافق نتناصر

ننصب الدعوة

وندخل في تميمة الإباحة)[2].

هل بعد هذه العبارات أي شك في الانتماء الباطني والارتباط الاعتقادي بالنصيرية الباطنية؟.

ثم يواصل في هذا المقطع الباطني مخاطباً القرمطي ساخراً بأبواب الجنة والنار:

(استغونا أيها السيد استدرجنا

لماذا كانت أبواب الجنة ثمانية

وأبواب النار سبعة كأبواب السموات؟

استغونا ←

ندخل في «أهل السواد»

«سفهاء الأحداث»

«اتباع الفتن»

ونجهر

---

(١) (٢) المصدر السابق ٢/ ٥٦٣ ـ ٥٦٥.

نحن التخاييل علم الآفاق

تخبرنا الطير عن الأباعد

وتطوى لنا الأرض)[1].

وتالله لقد استغواك غاوي الباطنية وغاوي المادية وغاوي الإلحاد وأصبحت من سفهاء الأحلام وإن عدك المنبهرون بك من سادة الأنام، وأضحيت من اتباع الفتن بل من قادتها والفتنة أشد من القتل!!.

فهل علمت المقلدة لأدونيس أي جريمة تقترفها في حق العلم والعقل والحق والخير بتقليدهم وتبجيلهم له؟ بيد أن أصدق وصف لهم أنهم صم بكم عمي فهم لايرجعون.

إن النصوص الميتة المبثوثة في طول وعرض الكتب والمجلات الحداثية، يأبي أصحابها إلاّ أن يكونوا ضمن دائرة التخثر الجاهلي الأرعن بإصرارهم على مناوأة الحقيقة واعتناق الأباطيل، وعكس المعايير.

فهاهو أحد نقاد الحداثة يصف المؤمن بزوال الدنيا ومجيء الآخرة بأنه إنسان شبحي حيث يقول: (ومن وجهة نظر دينية ترى في العالم صوراً زائلة، حيث ينتج نص شبحي يصلح لإنسان شبحي كإنسان التدين، يؤكد ويعيد تأكيد إحفاء العالم وإبعاده.

هذه الدائرة لا يكسرها إلاّ عودة الحركة إلى الطرفين: الوعي والعالم، الجدل الصادر عن رؤية العالم في صلابته الأبدية، في دلالاته المتولدة باستمرار)[2].

وهنا نحن الآن أمام نَموذج ظاهر من نَماذج استهزاء الصغار الغارقين في وحل المادية المنتن، بالمؤمنين كما وصف الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[3] حيث يعبر هذا الحداثي ـ

(١) المصدر السابق ٢/٥٦٧.

(٢) بحثاً عن الحداثة لمحمد الأسعد: ص ١٠٨.

(٣) الآية ٢١٢ من سورة البقرة.

بحسب ميزانه الجاهلي ـ عن دهرية اعتقادية وذلك من خلال رؤيته للعالم في صورته الأبدية، وهو تعبير مادي دهري ليس إلاّ.

ومن مقتضياته اعتقاد التسلسل المادي إلى ما لانهاية وذلك في اعتقاده الدلالة المتولدة باستمرار، وهو أصل من أصول الحداثة يقوم على هذه الفكرة، ويعبرون عنها بالصيرورة الدائمة، والتقدم المستمر والتواصل الدائم، وأبدية الحداثة والإبداع، واللاثبات، إلى غير ذلك من العبارات القائمة على مناهج فكرية قوامها التطور المطلق، وهي عقيدة مرتبطة باعتقاد أبدية الحياة الدنيا واستحالة الحياة الآخرة، والسخرية من كل عقيدة تقول بزوال الدنيا أو مجيء الآخرة، والتطور المطلق أساس من الأسس الحداثية ومنطلق للمذاهب الفكرية المادية (ومن هذه النقطة تدافعت كل النظريات والمذاهب الحديثة، وفي مقدمتها التفسير المادي للتاريخ ونظرية فرويد في النفس والجنس، ومفهوم العلوم الاجتماعية في الفصل وفي إلغاء ثبات الأخلاق وظهور مفاهيم الوجودية والهيبية)[1].

أساس هذه العقيدة الجاهلية هو اعتقاد أصحابها أن المادة ليست شيئاً أكثر من وجودها الخارجي المتمثل في ظاهراتها المتحركة المتغيرة، فهو عندهم الجوهر والماهية في الوقت نفسه، مع العلم بأن ظاهرات المادة ليست أكثر من آثار وخصائص لها، فإذا كانت كذلك ـ وهي في الحقيقة كذلك ـ فلابد من اليقين بوجود المؤثر، وكذلك لو قلنا بأن هذه الظاهرات هي أشكال للمادة فلابد من اليقين عندئذٍ بوجود أرضية أو موضوع لهذه الأشكال، ثم إن انحصار ظاهرات كل نوع من أنواع المادة ضمن نطاق لاتتعداه شيء واضح وملموس، وهذا ما يجعلنا على يقين بأن المادة وظاهراتها تمارس حركتها وهي محصورة في قبضة لايُمكن أن تتجاوزها، وهذه القبضة المحكمة هي التي تمنع ظاهرات المواد وخواصها المتنوعة المختلفة أن تمتزج وتتشابك، وهذه القبضة الحاكمة موجودة يحكم أثرها الواضح[2]، إذن فلاسرمدية

---

(١) أخطاء المنهج الغربي الوافد لأنور الجندي: ص ٤١.

(٢) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية للبوطي: ص ١١٢ ـ ١١٤.

للمادة، ولا حركة مطلقة لها، وليست فاعلة بحد ذاتها، وليست ذات تطور مطلق.

هذا بالنسبة للتطور المطلق والصلابة الأبدية للعالم حسب قول الحداثي الآنف الذكر، أمَّا وصفه للمؤمن بالله واليوم الآخر بأنه إنسان شبحي وينتج نصاً شبحياً فهو آت على الميزان الجاهلي القديم في السخرية من الذين آمنوا، والشتم المنطلق من قاعدة العجز عن إقامة الدليل ومقارعة الحجة بالحجة (وسيظل المؤمنون ينظرون من علٍ إلى أولئك الهابطين، مهما أوتوا من المتاع والأعراض، على حين يعتقد الهابطون إنهم هم الموهوبون وأن المؤمنين هم المحرمون، فيشفقون عليهم تارة، ويسخرون منهم تارة، وهم أحق بالرثاء والإشفاق)[1].

إن عبارات السخرية والاستهزاء التي يطلقها هؤلاء ليست في حقيقة الأمر إلاّ عجزاً يلبس ثوب القدرة، وضعفاً يرتدي رداء القوة، وخوفاً من غلبة الحق يأخذ شكل الاستهانة والتحدي والاستخفاف، وهالة مصطنعة تأتي في ألبسة التقريرات الجوفاء والدعاوى الحمقاء والشتائم الهابطة.

وإلاّ لو أردنا أن نعرف الإنسان الشبحي والفكر الشبحي على الحقيقة لوجدنا ذلك شاخصاً في شخصيات الكفار والملاحدة والماديين الذين لايرون سوى الأشباح، ولايعيشون إلاّ بشبح إنسان، ولايعرفون سوى شبح هذه الدنيا الزائلة، أمَّا الجوهر والحقيقة والعمق والروح فهم أجهل الناس بها وأبعد الناس عنها ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[2].

ومن أمثلة الاستخفاف بعقيدة اليوم الآخر قول الكاذب الليبي المسمى الصادق النيهوم: (. . . الإسلام عقيدة قائمة على حرية العقيدة، لاتنكر حق

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢١٥.

(٢) الآية ١٢ من سورة محمد.

أحد في الجنة بعد الموت، بل تثبت حق جميع الناس في جنة إضافية على هذه الأرض)[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

وأي استخفاف وسخرية بالدين وبعقيدة يوم القيامة أعظم من هذا الافتراء الحداثي الذي يجعل الجنة حقاً لكل أحد مؤمنهم وحداثيهم مسلمهم وعلمانيهم؟!.

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾[3].

ومن أمثلة سخريتهم باليوم الآخر وما فيه، ما كتبه حداثي مغربي في مجلة الناقد تحت عنوان «من وجوديات يقظان بن حي» وفيه يقول: (يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة: ادخلوا يا عبادي الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم، هذا ما قاله الحسن البصري، والأعمال كما نعلم إنّما هي بالنيات، فما الحكم في حق الذين يأتون الأعمال الشريرة بالنيات الحسنة؟ وهذا هو حالي.

حسب توقعات عراف عصري حصلها من حساب الاحتمالات وأحداث الآلات الحيسوبية: لن أدخل النار، كما أني لن أدخل الجنة بما في الكلمة من معنى وما فيها من فرش مرفوعة وولدان مخلدين وحور وفاكهة كثيرة وأكواب وأباريق وكأس من معين.. لذا فسيملكني ربي إقطاعاً صغيراً من بضعة أمتار مربعة في زريبة من زرائب الجنة، ولايهم إن سمعت فيه لغواً أو تأثيماً، ذلك لأنني سأكون مشغولاً بما سيكلفني ربي به: أن أرعى عينة من الحشرات المؤمنة الصالحة، متهجزاً بالعبادة والصوم إلى الفوز بدرجة أرقى، كأن أسهر على راحة بعض الدواجن الطاهرة المتعبدة.

---

(١) الناقد، العدد الأول تموز ١٩٨٨ م/١٤٠٨ هـ: ص ١١.

(٢) الآية ٢١ من سورة الأنعام.

(٣) الآيتان ٣٥ ـ ٣٦ من سورة القلم.

إني كما ترون لا أطمع في ناقة الله، ولا أطلب أن ترسل السماء عليّ مدراراً، وإنّما ينتهي طموحي إلى أن يسعدني ربي ويكرمني فيوسع من إقطاعي ويقلدني رعاية قطيع من الغنم المحبب أكله عند الصالحين المقربين إلى العرش، ولرعاية معزي وخرفاني الطائعة المرضية، لن أحتاج إلى عصا، بل إلى مزمار انفخ فيه واستعمله كذلك لتبديد ما قد يعتريني بين الفينة والأخرى من حزن ومخاوف أو شعور بالغربة.

إني لا أطمع يارب إلاّ في أن ترفع عني كل كربة في دار المأوى والقرار... فطوبى لي أن جعلتني في زريبتي من الدار الأخرى إلى سر السرور أتوق، وطوبى لي إن وهبتني من حين لآخر دناً من الخمر ولو كان غير معتق وغير ذي شأن، كالذي أتجرعه في دارك الفانية.

وطوبى لي فطوبى أن أسكنت بجواري جارية من جواري الجنة، ليس من الضروري أن تكون جميلة أو مجنحة... وإنّما ابتغيها لأروادها عن نفسها بالحسنى حتى إذا شاءت أشهدتك على نكاحها، وأنت خير الشاهدين)[1].

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾[2].

أمَّا الحداثي المصري جابر عصفور فإنه يعترض على وصف الحداثة والحداثيين بالكفر، ويجعل ذلك قائماً على تخييل إرهابي وتسلط وقمع وإرهاب ـ حسب قوله ـ ثم يجعل ذلك آتياً من (المخزونات المصاحبة للقيم

---

(١) مجلة الناقد، العدد ١٨ كانون الأول ١٩٨٩ م/ ١٤١٠ هـ: ص ٤٢ والمقال للحداثي المغربي سالم حميش.

(٢) الآيات ٧ ـ ١٠ من سورة الجاثية.

الدينية حيث الخوف من عذاب القبر والرعب من نار الآخرة...)[1].

ولست أدري هل يعلم هذا الحداثي بأن وصفه المستهين بعقيدة اليوم الآخر، وجعله سبباً للتصورات القمعية والإرهاب والتسلط، ونعته بأنه من المخزونات المصاحبة للقيم الدينية، هل يعلم بأن كل ذلك كفر بالله تعالى؟، قال ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[2].

ولهم في الاستخفاف بالجنة ونعيمها صولات ضلالية مفعمة بالسخرية والاستهزاء كقول شاعر العامية المصري الماركسي صلاح جاهين، حسب ما نقله عنه الماركسي اللبناني محمد دكروب:

(أوصيك يا ربي لما أموت... والنبي
ما تودنيش الجنة للجنة سور)[3].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾[4].

ومن هذا الضرب ما نقله معين بسيسو في كتابه الأعمال الشعرية من كلام لصنوه التركي ناظم حكمت الشيوعي ذي الأصل اليهودي، حيث قال:

(وضع الشاعر في الجنة
فصرخ قائلاً:
آه يا وطني)[5].

---

(١) الإسلام والحداثة: ص ٢٠٤.
(٢) الآيتان ٦٥ ـ ٦٦ من سورة التوبة.
(٣) شخصيات وأدوار: ص ١٧٨، ١٨٩.
(٤) الآيتان ٤٠ ـ ٤١ من سورة الأعراف.
(٥) الأعمال الشعرية الكاملة لمعين بسيسو: ص ١٥٧.

وقد سار بسيسو على منوال ناظم في استخفافه بالجنة ونعيمها، وزاد ضلالة على ذلك بجعل هذه السخرية والاستخفاف على لسان الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري[1]، الذي يستخدمه الاشتراكيون الملاحدة رمزاً لاشتراكيتهم كما يزعمون، ثم ينال من الصحابيين الجليلين عثمان[2] ومعاوية[3] رضي الله عنهما، يقول الحداثي الماركسي بسيسو تحت عنوان «من أوراق أبي ذر الغفاري»:

(وسار وحده ومات وحده وعاد

يصيح مت لم تزل

بقية من الكلام في فمي

نفيت مرتين، مرة هنا

---

(١) هو: الصحابي الجليل جندب بن جنادة الغفاري، أحد السابقين الأولين من نجَباء أصحاب محمد ﷺ، كان خامس خمسة في الإسلام، رجع إلى قومه داعياً بأمر النبي ﷺ فلما هاجر النبي ﷺ هاجر إليه أبو ذر ولازمه وجاهد معه، وكان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، كان رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل، قوالاً بالحق، شهد فتح بيت المقدس مع عمر، وخرج إلى الربذة في عهد عثمان، طاعة لأمر رسول الله ﷺ له إذا بلغ البناء سلعاً وفيها توفي سنة ٣٢هـ رضي الله عنه. انظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٦.

(٢) هو: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، أمير المؤمنين ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، من الأشراف في الجاهلية والإسلام، مجهز جيش العسرة، تولى الخلافة سنة ٢٣ هـ، وكان عهده عهد فتوحات، ثارت عليه فتنة المفتونين فحاصروه في داره وقتلوه رضي الله عنه صبيحة عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن سنة ٣٥ هـ، فوقع السيف في أمة محمد ﷺ منذ ذاك، ومناقبه جليلة كثيرة. انظر: الإصابة ٢/ ٤٥٥.

(٣) هو: معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية، الصحابي الجليل، وكاتب الوحي وصهر رسول الله ﷺ، أسلم يوم الفتح، ولاه عمر الشام وأقره عثمان عليه، ثم تولى إمرة المؤمنين إلى أن توفي رضي الله عنه عام ٦٠ هـ، وكانت خلافته ١٩ عاماً. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١١٩، والبداية والنهاية ٨/ ١١٧، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٢٠٧.

ومرة هناك في الحديقة المعلقة

بلوت صحبة الملائكة

بلوتها سئمتها

ضجرت من ولدانها المخلدين وحورها المزوقة

وخمرها المعتقة

وعدت يا معاوية

ألقي بشعرة الذئاب

في مغازل العناكب المشردة...

ولم يزل عثمان

يداه تقطعان أرض الله.

وهو خاشع يرتل القرآن)[1].

ويقول نزار قباني: (حتى الجنة لو أخذت شكل المنفى لكانت مرفوضة)[2].

ومن الاستخفاف الظاهر قول البياتي:

(غداً أمام الله في الجحيم

احطم الدمية والقدح)[3].

ومن الاستهانة بالآخرة قول صلاح عبدالصبور:

(ومن موته انبثقت صحوتي

وأدركت يا فتنتي أننا

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لمعين بسيسو: ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٢) فتافيت شاعر: ص ٩٢.

(٣) ديوان البياتي ٢/ ١٦٠.

كبار على الأرض لا تحتها

كهذا الرجل)[1].

نعم من كان صاحب كفر وسوء وضلال وشك فهو صغير حقير ذليل مهين، أمَّا من عمل صالحاً فإنه كبير عندالله جليل في الحياة وفي القبر وعند البعث.

ومن يهن الله فما له من مكرم، ومن يكرم الله فما له من مهين.

ومن هذا قول النصراني توفيق صايغ واصفاً نفسه:

(ارتعدت ركبتاي اصطكا

لا لخشية الله.

انقلبت خشّتي[2] الخالية

مرقصاً فاحشاً بروما

أنا الذي سجنت ذاتي هنا

خوفاً من النار

رفيق العقارب والضواري

رقبت الغواني

يتعرين يرقصن

لاحقت حركاتهن البذيئة

حركة حركة حركة)[3].

ويقول الرافضي الشيوعي مظفر النواب داعياً في سخرية أن يغفر الله

---

(١) ديوان صلاح عبدالصبور: ص ٦١.

(٢) هكذا.

(٣) الأعمال الكاملة لتوفيق صايغ: ص ٣٠٦.

لمن لم يسكروا في الدنيا، ويتعجب كيف يشتاقون للجنة وهم لم يفعلوا ذلك:

(رب سامحهم وإن لم يسكروا

كيف يشتاق إلى خمرة جناتك

من لايعرف الخمر

ويشتاق صباياها

إذا كان هنا ما عشقا؟!)[1].

أمَّا نزار قباني فإنه يجعل من أمارات تخلف الشرق العربي والشرق المسلم عموماً أنهم يؤمنون بيوم القيامة، وهذا القول غاية في الاستخفاف بهذا الركن من أركان الإيمان، يقول قباني:

(الملايين التي تركض من غير نعال

والتي تؤمن في أربع زوجات

وفي يوم القيامة)[2].

وله في هذا أقوال كثيرة خاصة وهو يصف الأعضاء الجنسية لعشيقاته، ومن ذلك قوله:

(كيف ما بين ليلة وضحاها

صار نهداك مثل يوم القيامة)[3].

وقوله:

(يبني وبينك كهنة وعرافون

---

(١) مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية: ص ٥٤ ـ ٥٥.
(٢) الأعمال الشعرية الكاملة ١/ ٣٦٧.
(٣) المصدر السابق ١/ ٧٦٩.

وعلامات حب قادم تشبه علامات يوم القيامة)[1].

وقوله:

(تحت سرتك المستديرة

كفم طفل

يتنبأ باهتزاز الأرض

ويعطي علامات يوم القيامة)[2].

وعبدالعزيز المقالح يصف يوم **٢٩** سبتمبر **١٩٦٢**م الموافق **٥/ ١٣٨٢**هـ يوم الثورة اليمنية، بأنه يوم القيامة، وذلك في قوله:

(سلمت أياديهم بناة الفجر عشاق الكرامة

الباذلين نفوسهم لله في ليل القيامة)[3].

أمَّا خبائث الملحد علاء حامد التي بثتها روايته «مسافة في عقل رجل» فهي كثيرة، وسخرياته بهذا الركن الجليل عديدة منها قوله على لسان أحد شخصيات الرواية حيث يصور أنه دخل الجنة فيقول: (هل هذه هي الجنة، سخرت من نفسي، لمجرد أن عقلي طرح هذا الاحتمال ابتسمت، لكن لماذا يطلقون عليها الجنة، أية جنة تلك التي يقطنها مجموعة من المرضى، يتناثرون كالأشياء)[4].

ويقول في حوار روائي:

(ـ لو خيرت بين الدنيا والجنة لاخترت الأولى

ـ بكل ما فيها من موبقات

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٨١.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

(٣) ديوان المقالح: ص ١١٣.

(٤) مسافة في عقل رجل: ص ١٦.

ـ أي موبقات تعني، إنك ستجد في الجنة مايذهب العقل ويوجع الفؤاد، هل ترى ما نحن عليه الآن، إنه من صنع الإله، فما يقدّره يحدث لنا...)[1].

ويقول عن أحدهم: (لقد أسهب في وصف الجنة، وغذى عقول الناس بالوهم الرخيص من الكلام حتى صدقوه، فهو يحبس نفسه عن الناس حتى لايضربوه بالنعال)[2].

ويتهكم بالمؤمنين وعقيدتهم في اليوم الآخر قائلاً: (هذه هي جنتهم الموعودة جنة عرضها السموات والأرض، لكن هل حقاً مايعتقدون، بعثاً بعد موت؟! حياة أخرى بعد الحياة الأولى...)[3].

ويطلق ألفاظاً سوقية على الجنة فيقول عنها:

(إنها جنة اللذة الحسية...

إنه مبروك.. حاسي حمى جنة المسكرات

مبروك يتقدم نحوي يعرض بضاعته.. أفيون.. حشيش.. خمور)[4].

وفي حوار روائي يسأل أحدهم:

(ـ والجنة والنار؟

ـ الجنة هي ما تراها أمام عينيك.. حضارة شعبنا، والنار هي التي تشوى عليها اللحم)[5].

ويقول: (... الانحلال يأتي من داخل المجتمع نفسه بتحلل خلاياه، فالحضارة بعناصرها الأساسية من أرض وشعب وإرادة عمل لا صلة بينها

---

(١) (٢) المصدر السابق: ص ١٨ ـ ١٩.
(٣) المصدر السابق: ص ٣١.
(٤) (٥) المصدر السابق: ص ٣٢ ـ ٣٣.

وبين الاعتقاد بوجود الجنة أو النار أو إنكار وجودهما.. بمعنى أنه لا ارتباط بين الحضارة وبين هذه المعتقدات)[1].

ويسمى الإيمان بالجنة آمالاً كاذبة فيقول: (وتدفع هذه الآمال الكاذبة قطعان البشر للاستسلام للظلم والاستبداد والقهر والاستذلال والجوع والحرمان أملاً في جنة أخرى غير أرضية يقطف ثمارها الإنسان بعد موته...

هل قرأت أو سمعت عن مجتمع انهار لأنه لايؤمن بوجود يوم البعث والحساب؟...)[2].

وتتنوع عباراته في السخرية بالجنة وما فيها من نعيم ويسميها «الفندق الإلهي»[3] ويسأل ساخراً عن التأثيث في بيوت الجنة والأجهزة الموجودة فيها من مكيفات وثلاجات، والمرافق والمباني والملاعب، والأدوات المدرسية والمواد الأولية للبناء كالاسمنت والحديد والطوب والورق، ثم يضيف بعد ذلك كله: (الأقرب إلى التصور أن الذي يعمل لخدمة أهل الجنة هم أهل النار، هم الكادحون، ينظفون الشوارع، ويقيمون المباني، وينشئون المرافق، ويجمعون القمامات، ويطهون الطعام، ويعملون في المصانع، كل المصانع من الإبرة إلى الصاروخ...)[4].

وكلامه الساقط من هذا القبيل كثير[5].

وتتحدث نوال السعداوي عن «البودي جارد» أي الحارس الجسدي فتقول متهكمة: (وفي سعادة طاغية يموت فداء الوطن وفي عنقه مفتاح الجنة معلقاً داخل السلسلة يفتح باب الجنة ويدخل مع الأنبياء والشهداء)[6].

---

(١) المصدر السابق: ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٣.

(٣) (٤) المصدر السابق: ص ١١٦ ـ ١١٧.

(٥) انظر: المصدر السابق: ص ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ٢٠٨.

(٦) سقوط الإمام: ص ٤٠.

وتقول: (وينتقل عقلي على الفور من هذا العالم إلى العالم الآخر، وأرى الجنة ممتدة خضراء، وأنا ممدود فوق السندس، ومن حولي الحوريات سابحات في النهر عاريات تحت الشمس، وفي الضوء أتعرف على ملامحهن وليس من بينهن وجه زوجتي الشرعية، ويرتفع صوتي وأنا أقهقه للمرة الرابعة أو الخامسة وأضربه على فخذه المشدود متسائلاً، كم للرجل المؤمن من حوريات؟ ويقول: سبعون أو سبعة وسبعون والله أعلم، وكم للزعيم المؤمن أو الإمام؟ وقهقه الكاتب الكبير وضرب رقماً خيالياً، لكن خيال الإمام كان أكبر، ثم يسأله فجأة، وماذا عن زوجاتنا الشرعيات إذا دخلن الجنة معنا؟ وقال صديق العمر: زوجاتنا لن يدخلن الجنة، قلت: لكن إذا حدث ودخلت إحداهن؟ قال: يستبدلها الله بحورية عذراء، فالجنة لن يكون بها زوجات شرعيات وإلاّ فما الفرق بين الجنة والأرض)[1].

ولها كلام طويل في السخرية بيوم القيامة وبالله تعالى، وأن الإشعاع النووي المدمر هو يوم القيامة، وأنها تشمل كل شيء سوى خليفة الله في الأرض، أي الإمام في عالمنا البشري ـ حسب خرافاتها ـ وضلالاتها المظلمة[2].

وتقول: (... ثقتي في دخول الجنة مائة في المائة مثل ثقتي بالله، في جيبي توصية من النبي وبعض صكوك التوبة من بنك الإيمان، أخرجتها كلها من جيبي لحارس الباب رضوان عليه السلام، كان أمياً لايقرأ الحروف المكتوبة، قلت له: أنا الإمام والقيت عليه إحدى خطبي المعروفة، لم يفهم شيئاً فهو لايتكلم اللغة العربية)[3].

وتواصل بعد هذا الكلام ملء ثلاث صفحات تهكماً بذيئاً وسخرية قذرة بالآخرة والجنة والملائكة والشفاعة وخمر الجنة والصراط والنبي ﷺ[4].

---

(١) المصدر السابق: ص ٥١ ـ ٥٢.
(٢) انظر: المصدر السابق: ص ٥٦.
(٣) المصدر السابق: ص ١٢١.
(٤) انظر: المصدر السابق: ص ١٢١ ـ ١٢٤.

ومن أنماط سخرياتهم واستخفافهم بهذا الركن العظيم إطلاق أسماء القيامة والجنة والنار على غير حقيقتها كقول البياتي:

(كان على بوابة الجحيم «ببكاسو» وكان عازف القيثار في مدريد
لملكات المسرح المغتصبات يرفع الستارة
بعيد للمهرج البكارة
يخبيء السلاح والبذور في الأرض إلى قيامة أخرى وفي منفاه
يموت في المقهى وعيناه إلى بلاد البعيدة)[1].

وقد مرّ معنا من قبل وصف عبدالعزيز المقالح للثورة اليمنية بأنها ليل القيامة[2].

ونحوه قول أحمد دحبور: (كانت الطائرات تصفُّ المدى بموازاة يوم القيامة)[3].

وخلاصة ما تقدم: أن الحداثيين في عقيدة اليوم الآخر على نقيض ما عليه عقائد أهل الإيمان، فهم يجحدون اليوم الآخر وما وراءه، ويعدون الموت للإنسان فناء لاشيء بعده، أو أن الإنسان يتحول إلى مادة أخرى حسب عقيدة التناسخ، ويقولون بأبدية الدنيا وبعض ما فيها، وهي عقيدة الدهريين، ومن هذه العقيدة أصّلوا قاعدتهم المنافية للثبات والمقررة للتطور المستمر والصيرورة الدائمة، وهم مع كل هذه الضلالات يسخرون من عقيدة اليوم الآخر ومن قضايا الآخرة الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفي تضاعيف هذه العقائد الضالة من الجهالات والأباطيل والانحرافات ما لايتسع المجال لإحصائه والاستشهاد عليه، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) ديوان البياتي ٢/ ٢٧٧.
(٢) انظر: ديوان المقالح: ص ١١٣.
(٣) ديوان أحمد دحبور: ص ٧٢٨.

وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾[2].

❁ ❁ ❁

(١) الآيات ٧٨ ـ ٨٣ من سورة المؤمنون.

(٢) الآيات ٣٣ ـ ٣٧ من سورة المؤمنون.